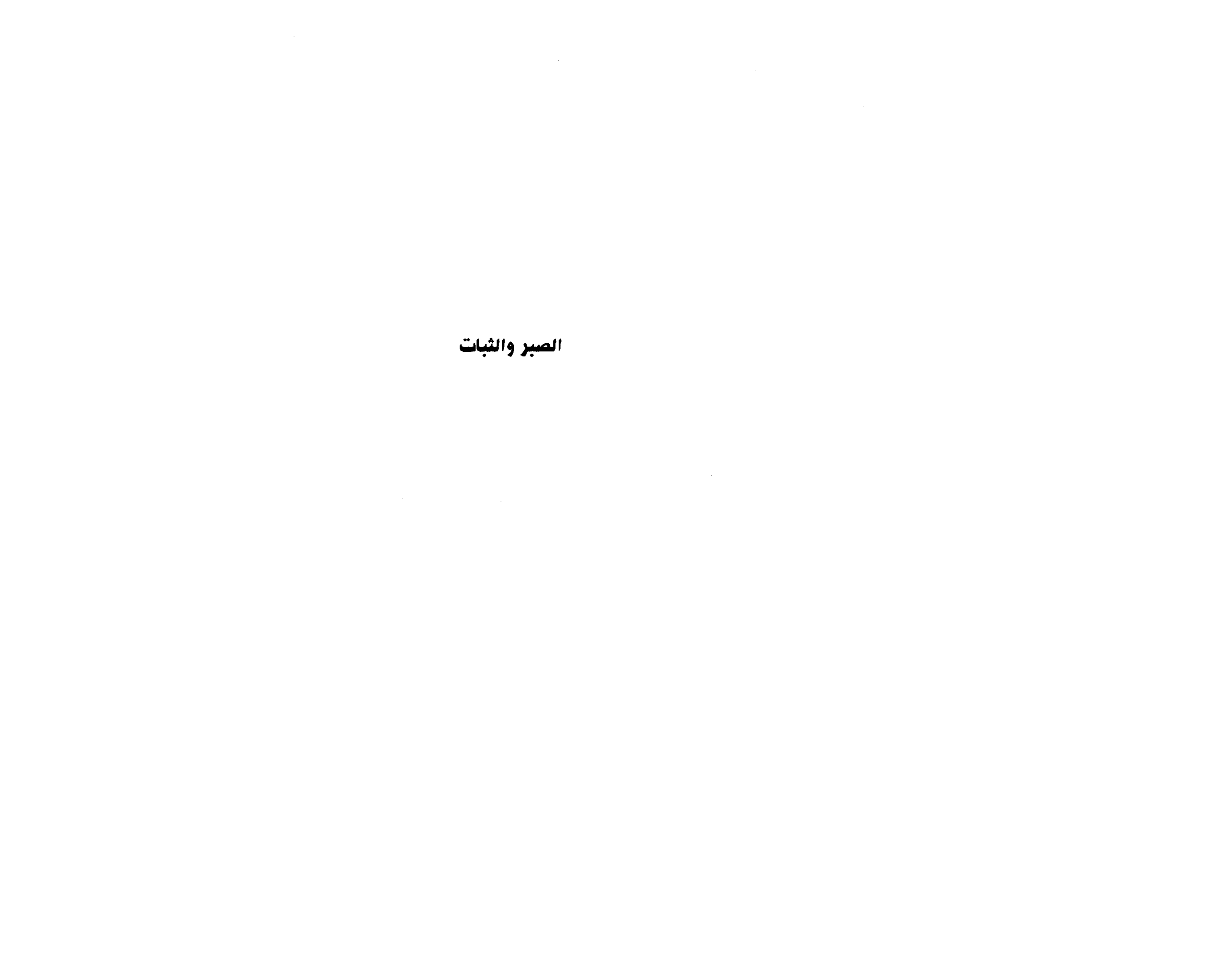
الصـــبر والثبات

على الطريق

تأليف

أحمد أحمد جاد





الصبر والثبات

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمى : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى الأمين ﷺ .
وبعد ،

فإن الطريق إلى الله تعالى هو طريق الأنبياء وورثتهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهو الطريق المستقيم ، طريق الدعوة الحق . . والسائر فى هذا الطريق لابد أن يقابل المحن وأن يستصحب نية الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، ولابد من مواصلة الطريق بالصبر والثبات مهما كانت المحن ومهما كانت العقبات . . حتى يلقى الله . .

والشاهد أن كثيراً من السائرين لم يواصلوا ولم يثبتوا بسبب كثرة المحن والعقبات . . فكان لابد من الصبر والثبات حتى نهاية الطريق . . لأن « العبرة بالخواتيم » .

وإن السائرين الصادقين ضربوا أروع الأمثلة فى الثبات فى جميع مجالاته : فى الدعوة ، فى المحن فى الجهاد فى القتال . . ولولا ثباتهم على الطريق وتحمل الأذى والشدائد . . لما انتشرت الدعوة ولما وصلت إلينا . . ولولا ثباتهم فى الجهاد والمعارك لما كان هناك تمكين أو نصر لهذه الدعوة .

وما ضاع المسلمون إلا بسبب عدم ثباتهم على هذه الدعوة

وإهمالهم وتكالبهم على الدنيا وكراهية الموت .

والصبر والثبات من أهم الصفات التى يتحلى بها المؤمن الصادق وهى الصفات اللازمة لنشر الدعوة وتثبيت أركانها ، وبغير ثبات ، فلا مصداقية للدعوة عند الناس . .

وموضوع الثبات على أهميته ، لم يطرح فى الماضى كموضوع متكامل مثل موضوعات العبادات أو المعاملات أو الأخلاقيات . . رغم أنه قد وردت الآيات والأحاديث التى تأمر به وتدعو إليه وتثيت عليه ، وقد ورد فى عبارات علمائنا ما يشير إلى الثبات ، لكنها عبارات متفرقة لم تجمع فى موضوع متكامل . .

وقد حاولت جمع هذا الموضوع مع ذكر الآيات وتخريج الأحاديث للرجوع إليها ولكى يطمئن القارئ إلى مصادر الحديث ومعرفة القوى من الضعيف ، فإذا ورد الحديث فى البخارى ومسلم وغيرهما فاكتفى بهما ولا أذكر غيرهما ، وإذا كانت هناك رواية للحديث تزيد المعنى ، فأذكرها مع مصدرها . . وإن كان سبقنى فيه أساتذة أفاضل . . ولكن أدلى بدلوى وإن كان قليلا . . فإن يكن صواباً فمن الله وله الحمد وإن تكن الأخرى فاستغفر الله والخير أردت ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ..
اللهم أحيننا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

الاسكندرية فى
١٤ من ربيع الآخر ١٤٢٢ هـ **أحمد أحمد جاد**
٥ من يوليو ٢٠٠١ م الفقير إلى الله تعالى

الباب الأول
مفاهيم حول الثبات

١- معنى الثبات :

الثبات لغة : يقال ثبت الشئ يثبت ثباتاً وثبوتاً ، فهو ثابت ، وتثبت في الأمر والرأى ، واستثبت : تأنى فيه ولم يعجل ، وتثبيت الفؤاد : تسكين القلب ، ورجل ثبت أى ثابت القلب ، وقوله تعالى : ﴿ **ليثبتوك** ﴾ أى يجرحوك جراحة لا تقوم معها ، والثبت بالتحريك : الحجة والبيان ، وقول ثابت : صحيح ، والمثبت : بفتح الباء ، من لا حراك له ، وبكسر الباء : الذى ثقل فلم يبرح الفراش وداء ثبات : يعجز عن الحركة .

والثبات عزم وإرادة جازمة على سبيل الدوام والاستقرار ، والثبات درجة أعلى من التصميم .

ومن معانى الثبات :

١- الصبر وتحمل الأذى فى الشدائد والمحن .

٢- الثبات فى الحرب وعدم التولى والفرار .

٣- مواصلة طريق الإيمان وعدم الشك والريبة أو الردة والانقلاب .

٤- ثبات القلب على الحق والإيمان بالحجة والبرهان .

٥- الاستقرار والمداومة على العمل ورفض المداهنة والمساومة .

٦ـ الطمأنينة وسكون القلب .
٧ـ التأنى وعدم الاستعجال .

٢ – ثبات الكون والحياة والإنسان :

الكون صادر عن خالق مبدع مدبر ، على الفطرة التى أرادها سبحانه ، فى نظام دقيق معجز ، لا يختل لحظة ولا شعرة ، والمجموعة الشمسية أخذت مسارها فى الفضاء بنسبة ثابتة ..

﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** (٤٠) ﴾ يس : ٤٠

والنجوم ثابتة فى طبيعتها ، تسخن وتبرد .. تسرع وتبطىء ، لكن فى إطار ثابت .

الأكسوچين والأيدروچين .. ثبات فى طبيعته والوجود .. يتكون منهما الماء بنسبة ثابتة ١ : ٢ ولا تتغير هذه النسبة فى الماء .

الإنسان ثابت فى طبيعته وجوهره ، مكون من طين ونفخة من الروح ﴿ ... **وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ** (٧) **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ** (٨) **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ** ... ﴾ السجدة

الكون والحياة فى حركة فى اتجاه دائرى .. حركة الشمس والأرض ، حتى الذرة « الإلكترون » ولكل حركة دائرية محور ثابت تدور حوله ....

والكون وما فيه ثابت بالفطرة« لكل شئ فى هذا الكون فطرته

السوية التى فطره الله عليها ، والتى تخصه وتميزه ، وهى قاعدة من قواعد المنهج العلمى التجريبى فى الكشف عن حقائق هذا الكون ومكوناته وسنن الله فيه .

وهذه الفطرة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، بدليل قوله تعالى بعد أن تكلم عن الفطرة : ﴿ ... **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ... ﴾ الروم: ٣٠ وأنها خاضعة لقوانين مطردة ، لا تتخلف ولا تتوقف إلا بإذن الله ، وأنه لولا ثبات تلك الفطرة واطراد القوانين التى تحكمها ، ما تمكن الإنسان من اكتشاف أى من أمور هذا الكون .

والقرآن يسمى هذه القوانين بالحق ، وعلى أن الكون وما فيه خلق بالحق ، ويطالب الإنسان بالتعرف على ذلك الحق والتزامه » .

جريدة الأهرام ٤/٥/٢٠٠١ مقال أ د. زغلول النجار .

وحب الحياة من الدوافع الفطرية الثابتة ، فكل إنسان يحب الحياة، والتضحية بالنفس فى سبيل الله لا تعنى الخروج على الفطرة، لأن المضحى هنا يرغب فى حياة أفضل ، هى حياة الخلد والنعيم الدائم .

وليس معنى الثبات هنا أن الكون الذى نحيا فيه كان منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد ، وأنه كون نهائى لا تحده حدود ، وأن النجوم مثبتة فى السماء . .

فقد جاء فى القرآن وأثبته العلم ، أن الكون مخلوق له بداية . .

وأنه يتمدد إلى الأجل المحدود واليوم الموعود : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ القيامة ٧ : ١٠ .

ومن الشواهد العلمية أن الشمس تفقد من كتلتها بالإشعاع ما يقدر بحوالى ٤٫٦ مليون طن كل ثانية .

جريدة الأهرام : ٧ / ٥ / ٢٠٠١ مقال أ د. زغلول النجار بتصرف .

وأن هذا الكون سوف يطوى ليعود كهيئته الأولى جرما واحدا مفردا يتفتق مرة أخرى إلى غلالة من الدخان تخلق منها أرضاً غير أرضنا الحالية وسموات غير السموات التى تظلنا .. ثم تبدأ رحلة الحياة الأخرى . جريدة الأهرام : ٢٨ / ٥ / ٢٠٠١ مقال أ د. زغلول النجار بتصرف .

وصدق الله ﴿ .. كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ الأعراف :٢٩ ، ﴿ .. كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ .. ﴾ الأنبياء / ١٠٤

والإسلام يتوافق مع طبيعة الكون والحياة ويتوازن بين الثبات والتطور ، فالثبات فى العقيدة والكليات والأصول ، والتطور فى الفرعيات ، فالعقيدة واحدة وإن تغير الزمان والمكان ، وكذا ما ثبت بالنصوص قطعية الثبوت والدلالة مثل الحدود والمواريث ومبادئ العدل ... والتطور والاجتهاد إنما يكون فى النصوص الظنية أو فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة .. والمعروف أن الفتوى تتغير بالزمان والمكان والأحوال .

٣ ـ أثر ثبات الكون والعقيدة على الإنسان :

١ـ أن ثبات الكون .. يوحى بالنظام والاستقرار .. وثبات العقيدة وصلتها بالكون إنما هى إشارة وموعظة للإنسان على وجود المبدع المصور : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)** ﴾ الفرقان / ٦١ : ٦٢ .

٢ـ أن الكون والإنسان صنعة الله .. فالكون ساجد لله لا يتخلف ، والمؤمن يدرك ذلك ويسجد مع الكون لله رب كل شئ ومليكه ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)** ﴾ النور / ٤١ ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ...** ﴾ الحج / ١٨ .

٣ـ أن الدعوة التى نادى بها الغرب فى عصر النهضة وما بعدها .. والتى تشمل التطور المطلق فى العقائد والأفكار والأخلاق والقيم ، صطدمت بمفهوم الدين عندهم .. أما فى الشرق الإسلامى فما زال الدين من الثوابت فى نفوس الشعوب رغم ما يبذل من التغريب والذوبان والتطبيع والغزو الفكرى .. والمقصود من فكرة التطور التى

تشمل الثوابت إنما هى للتحلل والانفلات من الشرعية الأخلاقية .

٤- أن ثبات العقيدة والقيم يضمن استمرار الهوية والأصالة ويحفظ المجتمع من الانحراف ، ولأن فكرة التطور المطلق الشامل لا يوجد لها أصل ثابت يرجع إليه .

٤- ثبات الحق على مر الزمن :

إن الله تبارك وتعالى هو الحق ﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** ... ﴾ طه / ١١٤ ، وكل ما صدر عنه سبحانه فهوحق ، فالقرآن حق ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ... ﴾ النحل/ ١٠٢ ووعده حق ، والساعة حق ، والجنة حق والنبيون حق، والدعوة إلى الله حق ، وهى رسالة الأنبياء والعلماء من بعدهم .

ولابد من وجود الفئة الثابتة على الحق حتى يأتى أمر الله ، ففى الحديث « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » .

البخارى فى العلم : ٧١ ومسلم : إمارة : ١٩٢٠ واللفظ له، وأبوداود : الفتن : ٤٢٥٢ وعلى الحق : أى ثابتين على الحق علما وعملا، ظاهرين : أى غالبين على أهل الباطل ولوبالحجة ، لايضرهم من خذلهم أوخالفهم لثباتهم على دينهم ، حتى يأتى أمر الله : أى قبض الروح : انظر عون المعبود ١١ / ٣٢٤ .

ثبات الحق وزوال الباطل :

إن الله تعالى خلق السموات والأرض بالحق ، وجعل الحق ثابت

الجـــذور ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ إبراهيم / ٢٤ ، والباطل مهما انتفخ فهو إلى زوال لا بقاء له ولا ثبات ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾ إبراهيم / ٢٦ .

والكلمة الطيبة هى كلمة الحق ، وهى مثمرة ثابتة لا تتزعزع ولا تذهب مع الرياح والعواصف ، والكلمة الخبيثة هي كلمة الباطل لا تثبت للرياح ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ . . . ﴾ الأنبياء / ١٨ .

٥ ـ معرفة الحق والعمل به :

تنقسم الناس من حيث معرفة الحق والعمل به إلى أنواع ، فالعبد إما أن يكون عالما بالحق أوجاهلاً به ، والعالم بالحق ، إما عاملاً بموجبه أومخالفاً له ، فالمنعم عليه : عالماً بالحق عاملاً به ، والمغضوب عليه ، عالماً بالحق متبع هواه ، والضال هوالجاهل بالحق ، والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل ، فكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته أولى بوصف الغضب وأحق به ، ومن هنا كان اليهود أحق به قال تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ

﴿ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ .. ﴾ البقرة / ٩٠

وفى الحديث : « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون » .

الترمذى فى التفسير : ٢٩٥٣م حسن غريب من حديث طويل ،
وأحمد : ٤ / ٣٧٨ شاكر / حمزة : ١٩٢٧٣ صحيح .

٦ـ ميزان الله ثابت :

من طبيعة الناس أن تختلف ، فى التصورات والاعتقادات بحسب اختلاف الأفهام والعقول ، وتنوع الوظائف والمواهب والحاجات ..

لكن لابد من ميزان ثابت يرجع إليه ، هذا الميزان الحق هوالذى بعث الله به النبيين ليحكموا بين الناس إذا اختلفوا ، ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ .... ﴾ البقرة : ٢١٣ ، والحق هنا كتاب الله الذى ينطق بالحق ، وهوالقول الفصل والحكم العدل .. وبغير هذا الميزان الحق الثابت ، تتعدد المناهج والتصورات .. ولا ينتهى الخلاف .

وكل نبى جاء بهذا الحق الواحد فى أصله ، الثابت على مر الزمن.. ولا شك أن هناك فروع فى الفقه تتغير بتغير الزمان والمكان والحاجات المتجددة ، وبهذا تستقيم الحياة .

وهذا الميزان الثابت إذا أخذ به الناس ، فهم على الحق ، وإذا

تركوه وأخذوا بغيره فهوالباطل ، والذى يقرر الحق من الباطل هوالخالق العادل صاحب الأمر كله ﴿ .. **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** .. ﴾ الأعراف / ٥٤ .

وليس الرجال ولا الفلاسفة هى التى تضع الحق ، فالعقول تختلف .. والحق لا يعرف بالرجال ولكن الرجال تعرف بالحق ، وبمدى التزامهم بالميزان الحق الثابت الصادر من الخالق عز وجل .

والإسلام لايبرر أخطاء رجاله إذا انحرفوا عن الميزان ، فكل ما جاء عن رجال الإسلام موافقاً الحق ، فهوحق ، فإذا خالفه فهوباطل لا حجة فيه على الإسلام ولا يحسب عليه .

والمفروض فى المسلمين العاملين فى حقل الدعوة أوالحكم بين الناس ، أن يكونوا مخلصين لله صادقين معه ... فمن اجتهد فأخطأ بعد بذل الجهد والوسع ، فهوماجور غير مأزور . وفى الحديث : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » .

البخارى فى الاعتصام : ٧٣٥٢ ومسلم : الأقضية : ١٧١٦ وأبوداود الأقضية : ٣٥٧٤ . وإنما يؤجر المخطئ إذا كان عالما بالاجتهاد، واجتهد فى طلب الحق ، لأن اجتهاده عبادة ، عون المعبود : ٩ / ٤٨٩ .

وإذا اجتهد فخالف نصاً شرعياً قطعياً ، وجب نقضه وبطلانه ، فإن فى الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .

وفى الحديث : « القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار ،

فأما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهوفى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهوفى النار ». أبوداود : الأقضية : ٣٥٧٣ .

٧ـ ثبات القلب واللسان على الحق :

عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً فقلت : يا رسول الله ، ترسلنى وأنا حديث السن ولا علم لى بالقضاء ، فقال : « إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك » .

أبوداود : الأقضية : ٣٥٨٢ وأحمد : ١/ ١١١ شاكر : ٨٨٢ صحيح

وفيه : فضرب على صدرى وقال : « اللهم ثبت لسانه ، واهد قلبه ...

وفى الحديث : كان النبى ﷺ يدعو« ... رب تقبل توبتى واغسل حوبتى وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، واهد قلبى ، وسدد لسانى ، واسلل سخيمة قلبى » . أبوداود : الصلاة : ١٥١٠ .

والمعنى : واهد قلبى إلى معرفة ربى ، وسدد : أى صوّب وقوّم لسانى حتى لا ينطق إلا بالصدق ولا يتكلم إلا بالحق ، وأخرج ما فى قلبى من الغش والغل والحقد والحسد مما يسكن القلب من مساوئ الأخلاق . عون المعبود : ٤/ ٣٧٦ بتصرف .

الثبات على طريق الحق :

١ـ إن طريق الحق هوالطريق الذى اختاره الله لعباده وهوطريق الفطرة وطريق الأنبياء والتابعين لهم بإحسان .

٢ـ وإن أعداء الله لا يتمسكون بالحق إلا إذا كان لمصلحتهم ،

لا لأنه حق ، فإذا كان الحق للمؤمنين فلا يعترفون به ﴿ **وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ النور : ٤٩ / ٥٠ .

٣- وإن أعداء الإسلام لا يرضون للمؤمنين أن يثبتوا على الحق ، فإن هذا يؤرقهم ، لأن الحق يكشف الباطل وزخرفه .

٤- وإذا ثبت المسلمون على الحق شعر الباطل بالهزيمة واليأس وأنت تنتصر عليه إذا كنت ثابتا على الحق ، أما إذا استجبت للباطل، فهذا نصره عليك ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ... ﴾ الأنعام / ١١٦ .

٥- قد يفتح الله قلوب من ضلوا .. فيهتدون ، فقد انقلب سحرة فرعون لما رأوا الحق وتمسكوا به رغم تهديدات فرعون ﴿ **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الأعراف / ١١٨ : ١٢١ .

٨ - ثبات الصراع بين الحق والباطل :

إن الحق من أسماء الله تعالى ، والحق باق لا يزول ، فقد كتب الله تعالى للحق البقاء .. والحق ثابت بقوته وصدقه ، ومن طبيعة

الحق أن يحيا ويثبت ، ومن طبيعة الباطل أن ينتهى ويزهق ، لأنه لا يحمل عناصر البقاء فى ذاته ، والباطل ينتفخ لأنه لا يطمئن إلى حقيقة ، ومن ثم يحاول أن يظهر كبيراً .

وإن الصراع بين الحق والباطل موجود وثابت منذ خلق الله آدم عليه السلام وجعل الشيطان له فتنة ، والقصة معروفة ومكرورة فى القرآن لاستمرار التذكرة ولأخذ الحذر والحيطة الكاملة من خطوات الشيطان .

قال تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ** . . . ﴾ الأعراف / ٢٧ .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ البقرة / ١٦٨ .

وكان الصراع ثابت بين الرسل وشياطين الإنس والجن .

قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ... ﴾ الأنعام/ ١١٢ .

فالصراع بين الحق والباطل سنة الله الثابتة على مر الزمن . .

ومن إعجاز القرآن أنه ذكر أصنافاً ثلاثة من الناس فى أوائل سورة البقرة : المتقين ، الكافرين ، المنافقين ، وصفات كل منهم . وهذه الأصناف موجودة وثابتة لكى يتحقق الصراع بين أهل الحق وأهل

الباطل .

الحكمة من الصراع بين الحق والباطل :

ومن حكمة الله فى وجود هذه الأصناف ، أنه يبتلى بعضهم ببعض لكى تقوم الحجة على أهل الباطل ولكى يثبت من يثبت من المؤمنين .. ثم تنتهى الجولة بخذلان الباطل : ﴿ ... **إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ الإسراء / ٨١ .

والذين يثبتون من المؤمنين ، فلابد أن تكون لهم العاقبة ﴿ .... **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ القصص / ٨٣ ، وقد ورد فى الحديث الطويل الذى كان بين أبى سفيان وهرقل ملك الروم أنه سأل أبا سفيان أسئلة ، منها « .. وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم ؟ فزعمت أن قد فعل ، وأن حربكم وحربه تكون دولاً ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى ، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة .. » . البخارى فى الجهاد : ٢٩٤١ ومسلم فى الجهاد : ١٧٧٣ وغيرهما .

فلابد من الاحتكاك والصراع ولابد من الابتلاء ﴿ ..**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة..** ﴾ الأنفال / ٤٢ ، أى ليكفر من كفر بعد الحجة ، لما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .. تفسير الطبرى وابن كثير .

ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة ، فحينئذ﴿ **يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ** .. ﴾ أى يستمر فى الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل

لقيام الحجة عليه ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ أى يؤمن من آمن ﴿ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ أى حجة وبصيرة ، فعبر عن الكفر بالموت ، وعبر عن الإيمان بالحياة .

ومن حكمة الله أن الصراع يهب النفوس قوة ، ويرفعها على ذواتها ، ويطهرها .. ويهب العقيدة قوة وعمقاً وحيوية ، فتتلألأ حتى فى أعين أعدائها وخصومها ، وعندئذ يدخلون فى دين الله أفواجاً ، كما وقع وكما يقع فى كل قضية حق ، يلقى أصحابها ما يلقون فى أول الطريق ، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم .. وترتفع أرواح أصحاب الدعوة على قوى الأرض وشرورها وفتنتها ، وتنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة ..

وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة فى نهاية المطاف .

وهذا هو الطريق : إيمان وجهاد ، ومحنة وابتلاء ، وصبر وثبات وتوجه إلى الله وحده ، ثم يجئ النصر ثم يجئ النعيم .

ظلال القرآن / ٢١٩ .

وصدق الله : ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ .

٩ـ الثبات نصر :

الثبات وحده يكون نصراً ، فإذا استخدم الظالمون أساليب التعذيب أو الأذى أو التهديد بالقتل ليرجع المؤمن عن دينه ، وثبت المؤمن على ذلك فصبر واستعان بالله تعالى ولم ينل الظالمون ما

أرادوا ، فهذا نصر في حد ذاته وخاب الظالمون ولم يرجعوا بشئ ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ﴾ الاحزاب / ٢٥

والله تعالى نصر عبده فى الغار دون جيوش أو سلاح أو دماء .. واعتبر ذلك نصراً ، فقال تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة / ٤٠ .

ومن ذلك قصة سرية الرجيع حيث بعث النبى ﷺ عشرة من أصحابه فى مهمة ، منهم عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى ويزيد بن الدثنة، ولما علم المشركون ، خرج منهم مائة رام وأحاطوا بالمسلمين.. واستأمنوهم .. لكن بدت بوادر الخيانة .. وغدروا بهم وقتلوا عاصم بن ثابت ومن معه إلا خبيب ويزيد فأسروهما وباعوهما بمكة..

وفي قصة خبيب أنه فى أسره استعار موسى ليستحد بها ... فدرج بُنى لهم وأمه غافلة ، حتى رأته على فخذه والموسى بيده ، ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، وفى رواية : ما كنت لأقتله وما نستحل فى

ديننا الغدر . .

فلما خرجوا به إلى الحرم ليقتلوه ، قال : دعونى أصلى ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تحسبوا أن مابى جزع من الموت لزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، أى متفرقين ، ولا تبق منهم أحداً ، فلم يحل الحول ومنهم أحد حى . وكان يقول :

فلست أبالى حين أقتل مسلما

على أى جنب كان لله مصرعى

راجع البخارى فى المغازى : ٣٩٨٩ ، ٤٠٨٦ .

وقد سطر هؤلاء الصحابة مواقف عالية من الصبر والثبات وإظهار عزة الإسلام ، حيث ثبتوا على دينهم ولم يستسلموا .

وقد ذكر الواقدى أن المرأة أسلمت فيما بعد وحسن إسلامها ، وكانت تقول ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب . . لقد رأيته يأكل من قطف عنب مثل رأس الرجل ، وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق فى الحديد ، وما كان إلا رزق رزقه الله . كان هذا الرزق آية من الله ليطمئنه ويثبته .

ما جزع خبيب ، فقد صلى ركعتين قبل أن يقتلوه . . فكانت آخر أعماله الصلاة .

وفى رواية الواقدى أنهم ساوموه على أن يرجع عن دينه فأبى وقال : لا والله ، ما أحب أنى رجعت عن الإسلام وأن لى ما فى الأرض جميعاً !! .

وفى رواية قالوا له : ارجع يا خبيب قال : لا أرجع أبداً ، قالوا أما واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك ، قال إن قتلى فى الله لقليل ! .

وتعتبر هذه الحوادث نصراً بعد نصر ، لأن العبرة ليست بالنتائج العاجلة .. ولكن بالنتائج الآجلة .. بما تترك هذه الأحداث فى نفوس الناس من تعاطف مع المسلمين حين يروا صبرهم وثباتهم وتمسكهم بدينهم والتضحية من أجله .. ومن هنا أسلم الناس .. وبعد أن كانوا يحاربون المسلمين ، حاربوا معهم وقاتلوا معهم وأبلوا بلاء حسناً وحملوا هذه الدعوة ورفعوا رايتها ونشروا العدل بين الناس ..

ونحن نرى فى هذا العصر أن ثبات وصمود المقاومة اللبنانية ضد المحتل الصهيونى كان له أثره فى الانسحاب من جنوب لبنان من غير اتفاق سياسى أو مفاوضات ، بعد احتلال دام أكثر من عشرين عاماً .

وأن صمود وثبات الشعب الفلسطينى الأعزل أمام جنود الاحتلال المدججين بالسلاح والعتاد يعتبر نصرا وله ما بعده بإذن الله تعالى ، أعزهم الله بعزته ونصرهم بنصره ﴿ **إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** ... ﴾ التوبة / ٤٠ ، ﴿ ... **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ الحج / ٤٠ .

١٠ ـ الثبات هبة من الله :

قد يظن الإنسان أنه بطل .. قادر على الصبر والثبات .. لكنه حين يمتحن تظهر حقيقته .. والحقيقة أن الإنسان لا يمكن أن يصبر ويثبت على الطريق إلا إذا استعان بالله ولجأ إليه بالدعاء أن ينصره ويثبته . ولذلك كان طلب أصحاب الدعوات من الله في الشدائد أن يصبرهم ويثبت أقدامهم ﴿ ... **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة / ٢٥٠ .

ولابد للعبد أن يستصحب نية الصبر والثبات حتى يصبره الله ويثبته ، ففي الحديث « ... ومن يتصبر يصبره الله » .

جزء من حديث رواه البخاري في الرقاق : ٦٤٧٠ ومسلم في الزكاة

وإسماعيل عليه السلام لما ابتلي بالذبح ، لم يأخذ المسألة على أنه شجاع أو بطل ولكنه علق صبره على مشيئة الله تعالى ، قال : ﴿ ..... **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ الصافات / ١٠٢ .

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم : أخبر سبحانه أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت ، فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم ، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم . وتحت قوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي**

الآخـرة ... ﴾ إبراهيم / ٢٧ كنز عظيم من وفق لمظنته وحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم ، ومن حرمه فقد حرم ، وذلك أن العبد لا يستغنى عن تثبيت الله له طرفة عين ، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما ، وقد قال تعالى لأكرم خلقه ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴾ الإسراء / ٧٤ ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ الأنفال / ١٢ ، وقال تعالى : ﴿ .. وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ .. ﴾ هود / ١٢٠ فالخلق كلهم قسمان : موفق بالتثبيت ، ومخذول بترك التثبيت . إعلام الموقعين : ١ / ١٧٦ .

١١ ـ آثار الثبات :

١ـ إن الله سبحانه أمر بالثبات ووعد بالفلاح قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأنفال / ٤٥ .

والفلاح يعني : إما النصر والسيادة وإما الشهادة والفوز بالجنة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ التوبة / ٥٢ .

٢- من يهدف الثبات ويريده ، يثبته الله ويحفظ عليه إيمانه ويجلب إليه الطمأنينة فيطمئن القلب ويواصل الطريق بعزم وتصميم، ولنذكر فى ذلك ما قاله النبى ﷺ لأبى بكر فى الغار : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

البخارى فى التفسير : ٤٦٦٣ وأحمد : ١/ ٤ شاكر : ١١ صحيح .

٣- من استقام وثبت على الطريق ، يغدق الله عليه من خيراته ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ الجن / ١٦: ١٧ .

٤- الثابتون على الطريق لهم تأثير فى الآخرين الذين سيقولون فى أنفسهم لولا أن ما عند هؤلاء من العقيدة والحق ما ثبتوا على الشدائد ولا صبروا عليها ، عندئذ ينقلب المعارضون يبحثون عما عند هؤلاء الصامدون ، ويدخلون فى دين الله . .

٥- أن ثبات المؤمنين له أثر فى نهضة الأمة وتكوين الدولة والتاريخ يشهد : ‹ إن نهضات الأمم جميعاً إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها أن وصولها إلى ما تبغى ضرب من المحال ، ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح › . من رسالة إلى شئ ندعو الناس .

٦- أن ثبات الشعب الفلسطينى مع صبره وتضحيته ، زلزل

الكيان الصهيونى ، حيث يعلم الجميع أن المفاوضات لم تصل إلى شئ طالما أن المحتل يستمر فى طغيانه وعدوانه ويقتل الأبرياء الآمنين العزل أصحاب الأرض ويهدم بيوتهم ويبنى المستعمرات .. ولا يرتدع ، بل إنه يغتصب أرضا ويبنى ويتوسع وهو جاثم على أنفاس المظلومين .. إن إصرار الشعب الفلسطينى على التمسك بحقه وأرض المسلمين ومقدساتهم ومقاومة الاحتلال بكل السبل المتاحة له هو الذى خلخل كيان العدو وألحق بقادتهم هزائم تتجلى فى السقوط واحد بعد الآخر كما أن وزارة الحرب لم ترهب المجاهدين بل زادوا فى عملياتهم ، هذه الوزارة إنما تعبر عن الخوف والاضطراب الذى أصابهم .. هذا رغم الفارق الكبير فى ميزان المعدات الحديثة من طائرات ومدفعية .. فى مقابل شعب يستخدم الحجارة !! ورغم الدعم الكبير الذى يلقاه العدو من أكبر دولة فى العالم .. وكان الأفضل لها أن تتبنى فكرة العدل بين الدول بدلاً من الانحياز الكامل للمعتدى الظالم !!.

١٢ ـ حكم الثبات :

وقد دلت الآيات والأحاديث الكثيرة على وجوب الثبات بأنواعه والتى تأمر بالثبات وتمدح أهله ، وترغب فيه ، وتحبب إليه وتحض عليه وسيأتى ذلك فى الأبواب التالية ، بإذن الله .

والثبات إما أن يكون على الإسلام بصفة عامة أو يكون فى الحرب والقتال أو فى تحمل الأذى ولو كان بالتهديد بقتل النفس.

أ ـ أما الثبات على الإسلام عامة فهو واجب للأدلة الكثيرة ، منها :

ـ أن عدم الثبات ردة وكفر قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ (٢١٧) ﴾ البقرة / ٢١٧ .

ـ أن حكم المرتد : القتل ، ففي الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » . البخاري في الجهاد : ٣٠١٧ وأبو داود في الحدود : ٤٣٥١ والترمذي في الحدود : ١٤٥٨ صحيح حسن وغيرهم .

ـ الأحاديث الكثيرة بلزوم الجماعة وعدم الفرقة وقتل التارك لدينه المفارق للجماعة وسيأتي ذلك إن شاء الله .

ب ـ وأما الثبات في القتال :

ـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ الأنفال / ٤٥ .

ـ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الأنفال / ١٥ : ١٦ .

ـ أن التولي يوم الزحف من الكبائر لحديث النبي في ذلك .
سيأتي هذا في الثبات في : طريق الجهاد بإذن الله .

ـ أن الجنة تحت ظلال السيوف للحديث « اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » . البخارى : ٢٨١٨ ، مسلم : ١٧٤٢ كلاهما فى الجهاد ورواه غيرهما .

جـ ـ الثبات فى الشدائد ولو بالتهديد بالقتل :

عرفنا أن من كفر بعد إسلامه فهو آثم على التحريم وأنه يقتل إن لم يتب ويستثنى من ذلك ﴿ **مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ النحل/ ١٠٦ .

قال القرطبى : أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان . القرطبى ط . الشعب : ٣٧٩٨ .

وقال ابن كثير : ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالى المكره على الكفر إبقاء لمهجته ، ويجوز له أن يستقتل كما كان بلال رضى الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتى إنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره فى شدة الحر ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم ويقول : أحد أحد . . ويقول : والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها رضى الله عنه وأرضاه .

وكذلك حبيب بن زيد الأنصارى لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك . تفسير ابن كثير ، ويستقتل اى : يستميت ، لايرهب الموت .

وقد حدثنى الأخ يوسف القرش من سنفا دقهلية ، أن أخاً له حبيباً كان يعذب بوضع الفحم المتوهج على جسده حتى ينطفئ ، وهويريد أن يسخر من معذبيه لولا أنه كان يخشى أن يزيدوا فى تعذيبه ،كان هذا فى محنة ١٩٦٥ فى السجن الحربى .

ترجيح ثبات المسلم على دينه ولوقتل :

قال ابن كثير : والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ، ولوأفضى إلى قتله كما قال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن حذافه السهمى أحد الصحابة : أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم . فقال له : تنصر وأنا أشركك فى ملكى وأزوجك ابنتى ، فقال له : لوأعطيتنى جميع ما تملك وجميع ما تملك العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت ! فقال : إذاً أقتلك ، قال أنت وذاك ! فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه ، وهويعرض عليه دين النصرانية فيأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر .. فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهوينظر ، فإذا هوعظام .. وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يلقى فيها .. فبكى ، فطمع فيه ودعاه فقال له : « ما أبكاك : قال : إنما بكيت لأن نفسى هى نفس واحدة ، تلقى فى هذه القدر الساعة فى الله ، فأحببت أن يكون لى بعدد كل شعرة فى جسدى نفس تعذب هذا العذاب فى الله .. وفى رواية أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ثم أرسل

إليه بخمر وخنزير ، فلم يقربه ، فاطلعوا عليه فقالوا للملك : قد انثنى عنقه فإن أخرجته وإلا مات ، فأخرجه وقال ما منعك أن تأكل وتشرب ؟ فقال : أما إنه قد حل لى ولكن لم أكن لأشمتك فىّ : فقال الملك : فقبل رأسى وأنا أطلقك ، فقال ، وتطلق معى جميع أسارى المسلمين ؟ قال : نعم ، فقبل رأسه فاطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب : حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ به ، فقبل رأسه . ابن كثير ، وسير أعلام النبلاء : ٢ / ١٤ .

ويؤيد الترجيح : أنه قد بلغ النبى ﷺ أن رجلين هددهما المشركون بالقتل فامتنع أحدهما عن النطق بالكفر ونطق الآخر فقال عليه السلام : فيمن امتنع : أفضل الشهداء وهورفيقى فى الجنة .
أصول الفقه لأبى زهرة ص ٥٢ .

ومن هذا النوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان الحاكم طاغياً ظالما يقتل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فإنه رخص لأهل الحق أن يسكتوا ، ولأهل العزيمة أن يتكلموا .. ولكن العزيمة أفضل فى أن يرشد ولوقتل ، فلقد قال النبى ﷺ : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قال كلمة حق لسلطان جائر فقتله » . المرجع السابق لأبى زهرة .

* * *

الباب الثانى
لوازم الثبات

نذكر من لوازم الثبات ما يلى :

١ـ الصبر :

من أهم لوازم الثبات .. الصبر :

والصبر فى اللغة : الحبس والكف ، ومنه قتل فلان صبراً إذا أمسك وحبس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** .. ﴾ الكهف / ٢٨ ، أى احبس نفسك معهم ، وقيل هوحبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وانتظار الفرج .

وقيل : هوالوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقال الخواص : هوالثبات على أحكام الكتاب والسنة ، وقيل : هوالاستعانة بالله ، وقيل هوترك الشكوى .

فتح البارى ١١ / ٣٠٩ ومختصر مدارج السالكين للمؤلف .

ولابد أن يكون الصبر لله وإرادة وجهه والتقرب إليه ، لإظهار قوة النفس .

وحبس النفس على المكروه أظهر معانى الصبر ، ولكنه صعب على العامة ، لأن العامى مبتدئ فى الطريق ، فإذا أصابته المحن أدركه الجزع ، وصعب عليه احتمال البلاء ، وعز عليه وجدان الصبر .

والصبر على المكروه يعرف به صحيح المحبة من معلولها ، وصادقها من كاذبها ، وقد وصف الله تعالى خاصة أوليائه وأحبابه بالصبر.. فقال عن حبيبه أيوب ﴿ .. إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ... ﴾ ثم أثنى عليه فقال : ﴿ .. نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص / ٤٤ .

الصبر والمصابرة والمرابطة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا .. ﴾ آل عمران / ٢٠٠ ، فالصبر مع نفسك ، والمصابرة بينك وبين عدوك، والمرابطة : الثبات وإعداد العدة .. فهذه درجات وانتقال من الأدنى إلى الأعلى ، فالصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة .

والصبر ضرورة للمؤمن الثابت على الطريق ، ومراد أعدائه أن يزحزحوه عنه وأن يقاتلوه ليردوه عن دينه إن استطاعوا ، فهوصبر وثبات على أذاهم .. والمصابرة حتى يظل المؤمنون أصبر من أعدائهم فلا ينفذ صبرهم . ويواصلوا الصبر والثبات جاهدين ، لأنه إذا صبر المؤمنون وصبر الأعداء .. فهوسباق بينهم وبين أعدائهم ، فلابد من مقابلة الصبر بالصبر والإصرار بالإصرار ، ليكون المؤمنون أثبت وأصبر من أعدائهم .

إن الباطل يصبر على باطله فأولى بالمؤمنين أن يكونوا أكثر صبراً وأعظم ثباتاً لأنهم يستصحبون التقوى : ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

والمرابطة من الربط والشد ، وسمى المرابط مرابطاً لأن المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع ، فهم فى حذر دائم ، والرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو، والمرابطة : الإقامة فى مواقع الجهاد ، والرباط مطلوب من المسلمين إلى آخر الزمان ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة ، وما أصاب المسلمين من غلبة عدوهم إلا لأنهم غفلوا عن رباطهم فأخذهم عدوهم على غرة وصدق الله تعالى : ﴿ ... **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً** ... ﴾ النساء / ١٠٢ .

إن أصحاب الدعوات كانوا فى الشدائد يطلبون من الله الصبر والثبات والنصر ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة / ٢٥٠ ، فالصبر من لوازم الثبات ، ذلك لأن طريق الدعوة شاق ، ملئ بالمحن والابتلاءات والضغوط النفسية والاجتماعية ، لا يمكن تجاوز هذا كله إلا بالصبر والثبات ثم يأتى النصر بعد ذلك .

(٢) الاستقامة :

والاستقامة لغة : الاعتدال ، واستقام : اعتدل ، وقومته : عدلته، وقائم : ثابت ، ومنه قول حكيم بن حزام : بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا قائماً ، أى لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام.

القاموس المحيط ، وهذا صحيح الثبات ، لأن العبرة بالخواتيم .

والاستقامة هى سلوك الصراط المستقيم ، والإيمان يقتضى سلوك الطريق فى استقامة ، فلاتنحرف عنه لا يمنة ولا يسرة لأنه خروج عن الصراط ، قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْاْ ...** ﴾ هود / ١١٢ والطغيان خروج سواء بالافراط بالغلوبالزيادة ، أوبالتفريط بالنقص والتقصير .

ولا يستقيم الإيمان إلا إذا استقام القلب والجوارح ، قال النبى ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ... » . مسند احمد : ٣/١٩٨ : ١٢٩٨٢ .

والاستقامة اتباع لا ابتداع ، فقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما ، أوصنى قال : « عليك بتقوى الله والاستقامة ، اتبع لا تبتدع » . الدارمى فى المقدمة : ١٣٩ .

وعن النبى ﷺ أنه خط خطاً بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال « وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوإليه » ثم قرأ ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ..** ﴾ الأنعام / ١٥٣ مسند احمد : ١/٤٦٥ شاكر : ٤٤٣٧ صحيح .

وقال ﷺ : « ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول :أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا

تنفرجوا ، وداعٍ يدعومن جوف الصراط فإذا أراد ان يفتح شيئا من تلك الأبواب ، قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحه محارم الله تعالى ، وذلك الداعى على رأس الصراط ، كتاب الله عز وجل ، والداعى فوق الصراط ، واعظ الله فى قلب كل مسلم » .

مسند أحمد : ٤/١٨٣ شاكر / حمزة : ١٧٥٦٦ صحيح واللفظ له وصححه الحاكم والترمذى فى الأمثال : ٢٨٥٩ غريب . مختصراً .

وفى الحديث « . . .سددوا وقاربوا وأبشروا . . . » .

البخارى فى الإيمان : ٣٩ ومسلم فى المنافقين : ٢٨١٨ وغيرهما .

والسداد هوحقيقة الإستقامة وهوالإصابة فى جميع الأقوال والأعمال والمقاصد ، كالذى يرمى غرضه فيصيبه ، والمقاربة :أن يصيب ما قرب من الغرض، إذا لم يصب الغرض نفسه بشرط أن يكون مصمماً على قصد السداد وإصابة الغرض .

ولكى يتحقق الثبات ،فلابد من المداومة على الإستقامة بتجديد الإيمان . . .فقد جاء فى الحديث « استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الصلاة إلا مؤمن » .

ابن ماجه فى الطهارة : ٢٧٧ وفى الزوائد : رجال إسناده ثقات أثبات إلاأن فيه انقطاعاً . وأخرجه الدارمى فى الوضوء : ٦٥٥ .

الإستقامة ثبات على الطريق حتى الموت :

عن أنس رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية

﴿ إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ..... ﴾ فصلت / ٣٠ قال « قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام »
وفي رواية « فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها » .
الترمذى فى التفسير : ٣٢٥٠ حسن غريب والنسائى فى التفسير

وعن عمر بن الخطاب في تفسير الآية ، قال : استقاموا بطاعة الله ولم يروغوا روغان الثعلب » . تفسير ابن كثير .

وقال النبي ﷺ : « ... ولن يزال أمر هذه الأمه مستقيماً حتى تقوم الساعة ... » . البخارى فى الاعتصام : ٧٣١١ .

وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرين » . البخارى فى الاعتصام : ٧٣١٢ .

وفي رواية « .... يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها لا يضرهم من خذلهم ، ظاهرين إلى يوم القيامة » . عن أبى هريرة فى الأوسط للطبرانى ، انظر فتح البارى : ١٣/٣٠٨ .

أما جزاء الإستقامة ، فهو ثبات عند الممات ، وذلك أن الملائكة تنزل على المؤمنين تطمئنهم : لاتخافوا على ما أنتم مقبلون عليه ، ولا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ، وتبشرهم بالجنه قال تعالى :
﴿ إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فصلت : ٣٠ .

(٣) السكينة والطمأنينة

من معانى السكينة : الثبات والاستقرار وعدم الانزعاج والطمأنينة أثر من آثار السكينة .

والمؤمن الثابت على الطريق ، يشعر بسكينة النفس وطمأنينة القلب فيكون آمنا إذا خاف الناس ، مطمئنا إذا اضطرب الناس .

وأصل السكينة هى الطمأنينة والوقار ينزلها الله تعالى فى قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، فيزداد الإيمان فى مواضع القلق والإضطراب ، كيوم الهجرة والنبى ﷺ وصاحبه فى الغار ... والعدوفوق رأسيهما ، وكيوم حنين حين ولوّا مدبرين من شدة بأس الكفار ...

والسكينة إذا نزلت اطمأن القلب وسكنت الجوارح ، وخشعت وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة ، قال ابن عباس رضي الله عنه « كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه » . مختصر مدارج السالكين ، منزلة السكينة والحديث رواه احمد : ١/١٠٦ شاكر : ٨٠٤ صحيح نحوه عن على ابن أبى طالب .

والطمأنينة موجب السكينة وأثر من آثارها وهى سكون القلب إلى الشىء وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف « الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

الترمذى : صفة القيادة : ٢٥١٨ واحمد : ١/٢٠٠ شاكر : ١٧٢٣ صحيح .

أى أن الصدق يطمئن إليه السامع ويسكن إليه ، والكذب

يوجب اضطراباً وارتياباً ومنه قول النبى ﷺ « البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب » . الدارمى فى البيوع : ٢٥٣٣ واحمد : ٤/ ١٩٤ شاكر / حمزة : ١٧٦٧١ صحيح وانظر مختصر مدارج السالكين .

فالصدق من لوازم الطمأنينة والثبات ، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً ، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوناً وأقلهم ثباتاً ، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الإخبار وشجاعته ومهابته ، ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك ، ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة .

إعلام الموقعين : ١/ ١٧٧ .

الذكر يجلب الطمأنينة والثبات :

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ الرعد / ٢٨ .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ الانفال / ٤٥ .

وفى الحديث « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » . مسلم فى الذكر : ٢٧٠٠ والترمذى قراءات ٢٩٤٥ .

السكينة والثبات فى غزوة بدر :

كانت السكينة من عوامل الثبات فى غزوة بدر ثم النصر ، فقد

كان المسلمون خائفين فغشيهم النعاس أمنة وسكينة من الله ، لأن كل نوم أونعاس لا يحصل إلا من قبل الله، والنعاس هنا آية من عند الله ، لأن الخائف من عدوه لا ينام ، فإذا نام الخائف أمن ، فأزال الله تعالى عنهم الخوف وأبدله أمنا .

وسبب الخوف أنهم كانوا قلة مع كثرة الكفار وزيادة عدتهم الحربية ، كما أنهم أصابهم العطش الشديد ، فلولا حصول النوم والراحة ، ما تمكنوا فى اليوم التالى من القتال .

ويلاحظ أنهم لم يناموا نوماً ثقيلا ، بل كان لمجرد أن يزول الخوف والتعب وذلك حتى لا يمكن منهم العدو .

ومن آية النعاس هنا أنه أصابهم دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجميع فى حالة الخوف الشديد أمر خارق للعادة !

ولما كانوا خائفين ، وسوس لهم الشيطان : تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين !! فقد أعوزهم الماء للشرب والطهارة ، لأن أكثرهم لما ناموا احتلموا وأجنبوا وأن المكان الذى نزلوا فيه تغوص فيه الأرجل ويرتفع منه الغبار الكثير ، فاجتمع عليهم الخوف بسبب كثرة العدو وتفوقه فى آلات وأدوات القتال ، فأنزل الله المطر .

ولما نزل الماء حفروا موضعاً فى الرمل فصار كالحوض الكبير، واجتمع فيه الماء حتى شربوا وتطهروا فاغتسلوا وزالت الجنابة ،

وتزودوا . . . والمؤمن بالعادة يستقذر نفسه إذا كان جنباً ويغتم إذا لم يتمكن من الإغتسال . .

وبسبب نزول المطر قويت قلوبهم وزال الخوف والفزع عنهم . . .﴿ .... وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ لأن المطر ثبت الرمل تحت أقدامهم فاستطاعوا المشى والحركة ، وروى أنه لما نزل المطر حصل للكافرين عكس ما حصل للمؤمنين، لأن أرض الكفار كانت موضع التراب والوحل . . .فزاد الوحل ، فصار ذلك مانعاً لهم من الحركة .

ومن النعم التى ساعدت على الثبات والنصر ، ما أوحى به الله إلى الملائكة ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الأنفال : ١٢، ولفظ معكم تحمل معنيين. الأول أنى معكم أى مع الملائكة ، والثانى أنه أوحى إلى الملائكةأنى مع المؤمنين ، فا نصروهم وثبتوهم . .وهذا المعنى الثانى أولى ، لأن المقصود إزالة التخويف ، والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وإنما الخائف هم المسلمون .

والتثبيت من الملائكة يعنى أن الله ناصرهم ، فهذا تثبيت ، وأن الملائكة تلقى الإلهام فى قلوب المؤمنين ليزيلوا وسوسة الشيطان ويثبتوا المؤمنين ، فهذا التثبيت الثانى . والثالث : أن الملائكة كانت تتشبه بصور رجال من معارفهم يمدونهم بالنصر والفتح والظفر .

ونعمة أخرى : أنه بعد زوال الخوف من قلوب المؤمنين قذف

الرعب فى قلوب الكافرين ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ الأنفال / ١٢ . من التفسير الكبير للرازى باختصار وتصرف .

(٤) الاعتصام :

الاعتصام لغة : افتعال من العصمة ، وهوالتمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف . . . وعصم : منع ، وأعصم : لم يثبت على ظهر الخيل . واعتصم بالله : امتنع بلطفه من المعصية . .

والاعتصام حصن للمؤمن لصيانة دينه . . يمنعه من الردة ويحميه من الانحراف . . وإن أوذى فى جسده وماله .

ومن معانى الاعتصام :

١- التصميم على الحق فلا تستطيع قوة أن تضعفه أوتثنيه عن دينه ، لأن دينه فى قلبه . .

٢- الثبات الذى يضمن استمراره على الطريق قال تعالى ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف : ٤٣ / ٤٤ .

والمؤمن لا يستطيع الثبات على الطريق ومقاومة الفتن إلا بالاعتصام بالله وبالاعتصام بحبل الله . .

ومدار الثبات فى الدنيا على الاعتصام بالله والاعتصام بحبل الله، أما الاعتصام بالله فهوالتوكل عليه والامتناع به، والاحتماء به واللجوء إليه وسؤاله أن يحميه ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه ، فإن

ثمرة الاعتصام به هوالدفع عن العبد ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الحج : ٣٨ ، فيدفع عن عبده كل سبب يفضى إلى العطب، ويدفع عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن وشر نفسه.

وأما الاعتصام بحبله فيوجب له الهداية واتباع الدليل الكفيل بعصمته من الضلالة ، كما يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التى بها تحصل السلامة .. والقرآن هو« حبل الله المتين ونوره المبين والصراط المستقيم .. » جزء من حديث الترمذى فى فضائل القرآن : ٢٩٠٦ .

وقال ابن مسعود : هوالجماعة فقال « عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذى أمر به ، وأن ما تكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبونه فى الفرقة » من مختصر مدارج السالكين منزلة الاعتصام بتصرف .

(٥) الدعاء :

الدعاء من لوازم الثبات ، والدعاء له شروطه وآدابه ومواقيته الزمانية والمكانية ومع ذلك فباب السماء مفتوح للدعاء فى أى مكان وزمان ، وقد وردت فى القرآن العظيم والسنة المطهرة أدعية كثيرة .. مما يدل على أهمية الدعاء للسائرين على الطريق ، فى كل وقت وحين .

ومن شروط الإجابة : تحرى الحلال والبعد عن كل حرام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

والمؤمن لا يعجل دعوته .. لأن الله إما يدخرها له وإما يصرف عنه من السوء مثلها .. فهو أعلم بما يصلح عباده .

والدعاء له أهمية فى علاج الأمراض الجسدية والنفسية من القلق والفزع والخوف .. وعلاج الكروب والأزمات وعقبات الثبات وهوحصن وأمان من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة .

وإن الله أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة ، ومن أوفى بعهده من الله فقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ غافر : ٦٠

والدعاء عبادة وفي الحديث : « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر : ٦٠ أبوداود فى الوتر : ١٤٧٩ والترمذى فى الدعوات : ٣٢٤٧ حسن صحيح وابن ماجه فى الدعاء : ٣٨٢٨ وأحمد : ٤ /٢٦٧ شاكر /حمزة : ١٨٢٦٨ صحيح وغيرهم.

وما شرعت العبادة إلا للخضوع للبارىء والتذلل إليه ، وعدم التذلل لله يعتبر استكبارا ، وجزاء الاستكبار الهوان والصغار .

والدعاء من أقوى الأسباب .. حتى إنه يرد القضاء ، قال النبى ﷺ : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر » . الترمذى : القدر : ٢١٣٩ حسن غريب .

الدعاء لثبات القلب :

عن أنس رضى الله عنه كان النبى ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، فقلت يا رسول الله ، آمنا بك

وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » . الترمذى : قدر : ٢١٤٠
وله روايات أخرى ، وهذا الحديث أصح وابن ماجه : مقدمة : ١٩٩
نحوه وأحمد : ٣ / ٢٥٧ شاكر / حمزة : ١٣٦٣٠ صحيح .

قال فى فتح البارى : معنى الحديث أن الله يتصرف فى قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شىء منها ، ولا تفوته إرادة .

وقال البيضاوى : فى دعائه ﷺ إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء ورفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك ، وخص نفسه بالذكر إعلاماً بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله فافتقار غيره ممن هو دونه أحق بذلك . فتح البارى : ١٣ / ٣٨٩ .

طلب الثبات ولوازمه :

كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه يقولون « اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر ، وأسألك عزيمة الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك لساناً صادقاً وقلباً سليماً ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأستغفرك مما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب » . الترمذى : الدعوات : ٣٤٠٧ والنسائى : السهو : ١٣٠٠
وأحمد : ٤ / ١٢٥ شاكر / حمزة : ١٧٠٦٨ صحيح

طلب ثبات القدم والهداية إلى الطريق :

كان أصحاب الدعوات يلجأون إلى الله ويطلبون الثبات وخاصة ثبات القدم فى القتال ، يقولون ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ

أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة : ٢٥٠ .

والمسلم يدعوالله فى صلواته كل يوم (اهدنا الصراط المستقيم) .

والهداية كما يقول ابن القيم : « هداية البيان والدلالة ، وهداية التوفيق والإلهام . . . لا يحصل الفلاح إلا بهما . . ونحن محتاجون إلى الهداية التامة ، فمن كملت له هذه الأمور ، كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام » .

ثم يذكر الهداية الثالثة والأخيرة ، وهى الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة وهوالصراط الموصل إليها قال « فمن هدى فى هذه الدار إلى الصراط المستقيم . . هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه ، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله لعباده فى هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم . . . » . مختصر مدارج السالكين . للمؤلف .

(٦) لزوم الجماعة :

الإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص . . أمة واحدة ، هذه الأمة موجودة منذ آدم عليه السلام ثم موكب الأنبياء من بعده إلى النبى الخاتم ﷺ ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ الأنبياء : ٩٢ وهى أمة باقية إلى ما شاء الله ، وستكون من هذه الأمة طائفة ظاهرة على الحق لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى قيام الساعة ، وهذه الأمة أساسها

عقيدة التوحيد والأخوة فى الله ، أى إيمان وأخوة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْــوَةٌ ﴾ الحجرات : ١٠ ، وهى الأمة والجماعة التى تهتم بأمور المسلمين ، وفي الحديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » البيهقى عن أنس والطبرانى وابن القيم ، انظر كشف الخفاء : ٢٦١٧ وقال العراقى : رواه الحاكم من حديث حذيفة والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر وقال : كلاهما ضعيف .انظر الغزالى في الإحياء صـ١٠١٥فى الهامش.ط الشعب.

وقد وردت أحاديث كثيرة فى لزوم الجماعة نذكر منها :

١- « ... عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهومع الإثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . . » . الترمذى : الفتن : ٢١٦٥ حسن صحيح غريب واحمد : ١/١٨شاكر : ١١٤ صحيح نحوه.

٢- « ... يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار » . الترمذى : الفتن : ٢١٦٧ غريب وقال أبوعيس : وتفسير الجماعة عندى هم أهل الفقه والعلم والحديث ، وقال البخاري فى باب الاعتصام باب : ١٩ : أمر النبى بلزوم الجماعة وهم أهل العلم . .

وفى رواية « . . فإن يد الله مع الجماعة ، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض » النسائى : تحريم الدم : ٤٠٢٧ والحديث رواه غيره بألفاظ مختلفة.

٣- عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب

القاصية » .

أبوداود فى الصلاة: ٥٤٧ والنسائى : إمامة : ٨٤٣ والقاصية : الشاة المنفردة عن القطيع البعيدة منه .

٤- « ... من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب »

مسند أحمد : ٤ /٢٧٨شاكر / حمزة : ١٨٣٦١صحيح.

٥ - « .. وكان النبى ﷺ يأمرنا إذا فزعنا بالجماعة والصبر والسكينة وإذا قاتلنا » أبوداود فى الجهاد : ٢٥٦٠ وسبق تخريجه.

٦- « . من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه »

أبوداود : السنة : ٤٧٥٨

قال الخطاب : الربقة ما يجعل فى عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد .. من خرج عن طاعة إمام الجماعة أوفارقهم فى الأمر المجتمع عليه ، فقد ضل وهلك ، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التى هى محفوظة بها ، فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع . عون المعبود : ١٣/١٠٢

٧- « .. من فارق الجماعة شبرا فمات ، إلا مات ميتة جاهلية »

البخارى : الفتن : ٧٠٥٤ ومسلم : إمارة ١٨٤٨ نحوه ورواه غيرهما

* * *

الباب الثالث
أســاس الثبــات
الفصل الأول
الإيمان أساس الثبات

تكلمنا عن لوازم الثبات ، وهى المعانى التى لابد أن يصحبها السائر لكى يثبت على الطريق .

والإيمان هو الذى يفصل بين ثبات المؤمن وثبات غيره ممن تضيع أعمالهم لأنها بنيت على غير أساس ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾ التوبة : ١٠٩ .

والمعروف أن الإيمان شرط فى قبول الأعمال ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ النحل : ٩٧ .

الإيمان أساس الثبات :

لاشك أن الإيمان أساس الثبات ، وعلى قدر الإيمان يكون ثبات المؤمن على الطريق قال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ فصلت : ٣٠ ، فهؤلاء آمنوا ثم استقاموا وثبتوا

على ذلك .

قال أبو بكر رضي الله عنه في تفسيرها : الذين لم يشركوا بالله شيئا ، وعنه قال : لم يلتفتوا إلى إله غيره ، وفى قول آخر له : ثم استقاموا على أن الله ربهم .. وهذا يعنى أن الثبات يكون على أساس التوحيد والإيمان بالله وحده وعدم الإنحراف عن ذلك.

وقال ابن عباس : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله.

وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال : اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة .

وفى الحديث : قال رجل لرسول الله ﷺ : قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك أو غيرك ، قال ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » مسلم : إيمان : ٣٨ ، وأحمد : ٤١٣/٣ : ١٥٣٥٥ صحيح .

قال القاضى عياض : وحدوا الله وآمنوا به فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه إلى أن توفوا على ذلك.

وقال رجل لرسول الله ﷺ : حدثنى بأمر أعتصم به قال ﷺ : « قل ربى الله ثم استقم » .

الترمذى : الزهد : ٢٤١٠ ، وابن ماجه فى الفتن : ٣٩٧٢ والدارمى : الرقاق : ٢٧١ بلفظ « اتق الله ثم استقم .. » وغيرهم .

وفى حديث حارثة المشهور ، أن النبى ﷺ قال له : يا حارثة كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، قال انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة ، قال : يا رسول الله ، عزفت نفسى عن الدنيا

فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وكأنى انظر إلى أهل الجنة فى الجنة كيف يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار كيف يتعاورون فيها ، قال : « أبصرت فالزم ، عبد نوّر الله الإيمان فى قلبه » .

أى عرفت طريق الإيمان فاثبت عليه ولا تحيد عنه .

جامع العلوم والحكم وقال : روى من وجوه مرسلة وروى متصلا والمرسل أصح

وقال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ يونس :٦٢/ ٦٣ فمن صفات أولياء الله : الإيمان والتقوى وهذا أساس الثبات والأمن .. هؤلاء لا يخافون أبدا كما يخاف الناس ، فهم على ثقة من أنفسهم، وحسن الظن بربهم ، وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب ، لأنهم يعلمون أن ذلك بقضاء الله وقدره ، فيسلمون للقضاء والقدر ، ويريحون قلوبهم عن الهم والكدر ، فصدورهم منشرحة ، وجوارحهم نشطة وقلوبهم مسرورة .

الثبات على الإيمان :

من المؤمنين رجال ثابتون على الإيمان وطاعة الله ولو كلفتهم هذه الطاعة قتل أنفسهم أو الإخراج من الديار .. ووصفهم الله بالثبات والتثبيت ، إنها صبغة القلوب والمشاعر والجوارح ..

« لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية تغلغلت فى الضمائر والمشاعر ، ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب . . » من رسائل دعوتنا فى طور جديد .

قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ النساء : ٦٦ / ٦٨ .

قال فى التفسير الكبير : والمراد أنهم لو فعلوا ما كلفوا به وأمروا به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وفيه وجوه :

الأول : أن المراد أن هذا أقرب إلى ثباتهم عليه واستمرارهم .

الثانى : أن يكون أثبت وأبقى لأنه حق والحق ثابت باق والباطل زائل .

الثالث : أن الإنسان يطلب أولا تحصيل الخير ، فإذا حصله فإنه يطلب أن يصير ذلك الحاصل باقيا ثابتا . . » .

« والإخلاص فى الإيمان خير مما يريدونه من النفاق وأكثر ثباتا وبقاء . . وثواب هذا الخير . . أن توبتهم من لدنا أجرا عظيما . . والصراط المستقيم هو هذا الدين الحق . . » أ.هـ

ولما نزلت هذه الآية ، قال أناس من أصحاب النبى ﷺ : لو فعل ربنا لفعلنا فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « للإيمان أثبت فى قلوب

أهله من الجبال الرواسى » تفسير ابن كثير والطبرى : ٥٢٦/٨ شاكر .

الثبات على الإيمان رغم ضغوط القرابة :

قد يتعرض المسلم لضغوط القرابة والنسب ورابطة الدم لصده عن دينه ، ولكن المسلم يأبى أى ضغوط فى هذا الصدد مهما كانت .

فهذا مصعب بن سعد بن أبى وقاص يحدث عن أبيه : أنه نزلت فيه آيات من القرآن

قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك ، وأنا أمك آمرك بهذا . قال : مكثت حتى غشى عليها من الجهد ..» .

جزء من حديث مسلم : فضائل الصحابة : ٤٣/١٧٤٨ والترمذى : تفسير سورة العنكبوت : ٣١٨٩ حسن صحيح وغيرهما .

ونزلت الآية فى سورة العنكبوت ببر الوالدين وعدم طاعتهما فى الشرك

وفى رواية عن سعد أنه قال : كنت بارا بأمى فأسلمت ، فقالت : لتدعنّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيّر بى ، ويقال : يا قاتل أمه ، وبقيت يوما ويوما فقلت : يا أماه ! لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا فكلى إن شئت ، وإن شئت فلا تأكلى ، فأكلت » .

انظر شرح الشيخ شاكر لحديث الإمام أحمد : ١٨١/١ شاكر : ١٥٦٧ وكذا القرطبى صـ٥٠٤٤ ط الشعب .

الفصل الثانى
أهمية التربية للثبات

التربية وسيلة الإسلام فى بناء الإنسان ، وتعنى تهذيب الإنسان، وإصلاحه وتنميته ليكون فى مستوى يليق بكرامة الإنسان ورضاء الله عنه، وذلك بالالتزام بما جاء فى الإسلام من عقيدة ومعاملات وفضائل وأخلاق وآداب . .

والهدف من التربية : تكوين الرجال وإعدادهم لحمل أمانة نشر الدعوة والعمل بها والثبات عليها من أجل إعادة مجد الإسلام من جديد .

وقد جاء القرآن ليربى أمة ويقيم لها نظاما ، فتحمله هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وتعلم به البشرية هذا النظام وفق المنهج الكامل . . ومن ثم فقد جاء هذا القرآن مفرقا وفق الحاجات الواقعية لهذه الأمة ووفق الملابسات التى صاحبت فترة التربية الأولى، والتربية تتم فى الزمن الطويل ، وبالتجربة العملية . . ولهذا نزل القرآن منجما بحسب الحوادث ، قال تعالى : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** ﴾ الإسراء : ١٠٦ .

القرآن والتربية بالأحداث :

إن منهج القرآن في التربية ، أن يربى أتباعه بالأحداث حتى تتأثر النفوس وتنفعل وتكون مستعدة للاستجابة .. ثم يأتى تعقيب القرآن بعد الحدث ، ومنه التعقيب الذى نزل بعد غزوة أحد ، وكيف وجه الأنظار إلى الأخطاء وإلى خواطر النفس .. وكشف عن مواطن القوة فيها ومواطن الضعف ، ثم وضع الأسس والتصورات الصحيحة فى علاج النفوس .. وكيف يكون الثبات .

ومن هنا كان الإعداد والامتحان والتربية « أعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق ، وامتحنوها بالعمل ، والعمل القوى ، البغيض لديها الشاق عليها وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها » من رسالة المؤتمر الخامس .

القاعدة الصلبة الثابتة :

هذه القاعدة الصلبة الثابتة ، التى تربت فى محك الشدة فى مكة من الرعيل الأول ، وهى التى صبرت وثبتت على طول الأحداث والمحن والشدائد .. وهى التى يمكن أن توصف بالرجال الذين صدقوا فثبتوا ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ الأحزاب : ٢٣

والمعروف أن الحركة الإسلامية لما قامت فى مكة تنادى بالدعوة

إلى عبودية الله وحده .. أحست الجاهلية بالخطر الذى يهدد وجودها .. فشنتها حربا شعواء على كل من ينتمى إلى هذه الحركة.. حتى أفرغت كل ما عندها من أذى وكيد وفتنة وحيلة ..

ويومئذ لم ينضم إلى هذه الحركة ويدين بها إلا من نذر نفسه لله وتهيأ لاحتمال الأذى والجوع والعذاب والموت .. وكافة الضغوط .. وبذلك تكونت للإسلام قاعدة صلبة من أصلب العناصر عوداً فى المجتمع العربى ..

أما العناصر التى لم تتحمل الضغوط ، فقد فتنت عن دينها وارتدت وكانت قليلة ، وهكذا اختار الله السابقين من المهاجرين من تلك العناصر الفريدة النادرة ، ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين فى مكة ، ثم فى المدينة ، مع السابقين من الأنصار الذين بايعوا محمدا ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم .. وما كان الهدف والربح من هذه البيعة إلا الجنة .. وقد كانوا يعلمون أنهم لا يبايعون على أمر هين ، بل كانوا يعلمون أن قريشا من ورائهم ، وأن العرب سترميهم ، وأنها الحرب مع الجاهلية .. فقد كان الأنصار يعلمون عن يقين تكاليف هذه البيعة .. وهكذا تكونت القاعدة الصلبة فى المدنية أيضا .

ولكن المجتمع الإسلامى لم يكن كله بهذا النقاء ، فقد دخل فى الإسلام كثيرون ، إما للمحافظة على مكانتهم ، وعلى رأسهم

عبد الله بن أبى بن سلول ، وإما دخلوا تقليدا دون أن يكونوا قد فقهوا الإسلام ، مما أنشأ تخلخلا فى بناء المجتمع المدنى ناشئا عن اختلاف مستوياته الإيمانية .

ومع أن المنهج الإسلامى كان يعمل عمله فى هذه العناصر الضعيفة ، وعلى إعادة التوافق بين المستويات المختلفة إلا أنه كانت تظهر فى فترات الشدة أعراض من الضعف والنفاق والتردد والشح بالنفس والمال ، ويظهر ذلك فى خطاب الشارع للضعفاء والمنافقين داخل الصف المسلم .

ومع هذا كله ، فإن بناء المجتمع فى المدينة كان سليما فى جملته بسبب اعتماده على تلك القاعدة الصلبة الخالصة من المهاجرين والأنصار وما تحدثه من تماسك فى مواجهة أعراض الخلخلة التى لم يتم بعد صهرها وتماسكها . . إلا أنه مع الوقت كانت هذه العناصر تنصهر وتتطهر وتتناسق مع القاعدة ويقل عدد الناشزين من ضعاف القلوب ومن المنافقين . . حتى إذا كان قبيل فتح مكة ، كان المجتمع الإسلامى أقرب ما يكون إلى التناسق التام مع قاعدته الصلبة الخالصة .

إلا أنه بعد الفتح دخلت فى المجتمع المسلم أفواجا جديدة كثيرة على درجات متفاوتة من المستويات الإيمانية ، فيهم الكارهون للإسلام والمنافقون ، والمؤلفة قلوبهم . . غير أن هذا الاتساع الأفقى

فى رقعة الإسلام قد أعاد معه جميع الأعراض والظواهر ، بعد أن كاد المجتمع يبرأ منها بتأثير التربية الطويلة المدى المستمرة التأثير فى خلال السنوات السبع بعد بدر الكبرى .. ولولا القاعدة الصلبة الأمينة لهذا الدين ، لكان هناك خطر كبير من هذا الإتساع الأفقى السريع فى رقعة الإسلام فى الجزيرة ..

مظاهر الخلل فى الصف المسلم :

١- أول ما ظهر من ذلك كان يوم حنين ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ التوبة : ٢٥ وكان من أسباب الهزيمة يوم حنين أن ألفين من الطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح قد خرجوا مع العشرة آلاف من جند المدينة الذين فتحوا مكة ، فكان وجود هذين الألفين مع العشرة آلاف ، سببا فى اختلال التوازن فى الصف .. لأن الجيش لم يكن كله من القاعدة الصلبة الخالصة التى تمت تربيتها وتناسقها مع الزمن الطويل ما بين بدر والفتح .

وقد كمن المشركون للمسلمين ورشقوا فيهم النبال والسيوف وحملوا حملة رجل واحد على المسلمين الذين ولوا مدبرين .. وثبت رسول الله ﷺ .. وأخذ يدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول : إلىّ عباد الله ، إلىّ أنا رسول الله » ويقول : « أنا النبى لا كذب أنا

ابن عبد المطلب » وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، منهم أبو بكر وعمر والعباس وعلى وغيرهم . .

ثم أمر النبى ﷺ عمه العباس ، وكان جهير الصوت ، أن ينادى بأعلى صوته : يا أصحاب الشجرة ، يعنى شجرة بيعة الرضوان . . وكانت البيعة على أن لا يفروا . . وتارة ينادى : يا أصحاب سورة البقرة ، فجعلوا يقولون : يالبيك ، يا لبيك وانعطف الناس فتراجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فلما اجتمعت شرذمة منهم . . أمرهم أن يصدقوا الحملة ، وانهزم المشركون ، فأتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون . .

ومن هنا نعلم أن النصر ليس بالكثرة . . ولكن بالفئة المؤمنة الصابرة الصامدة الثابتة التى ثبتت مع رسول الله ﷺ ، وهى التى قلبت ميزان المعركة وهى التى أنزل الله السكينة عليها لكى تثبت القلوب ثم ينصرها ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾ التوبة : ٢٦ .

٢- كذلك كان ما ظهر فى أثناء غزوة تبوك من الأعراض والظواهر المؤذية التي تحدثت عنها سورة التوبة . . ثمرة طبيعية لهذا الاتساع الأفقى السريع .

٣- كذلك عندما قبض رسول ﷺ بعد عامين من الفتح ،

ارتدت الجزيرة العربية ولم يثبت إلا مجتمع المدينة ، القاعدة الصلبة الخالصة .

ومن هنا ندرك تدبير الله الحكيم فى المحنة الطويلة التى تعرضت لها الدعوة فى مكة فى أول الأمر وحكمته فى تسليط الطواغيت على الفئة المسلمة يؤذونها ويفتنونها عن دينها ويهددون دمائها !!

لقد كان الله تعالى يعلم أن هذا هو المنهج القويم لتربية الجماعة وتكوين القاعدة الصلبة لهذه العقيدة ، وأن بدون هذه المحنة الطويلة لا تصلب الأعواد ولا تثبت للضغوط ، وأن هذه الدرجة من الصلابة والخلوص والتجرد والإصرار والمضى فى سبيل الله على الأذى والعذاب والقتل والتنكيل والتشريد والتجويع وقلة العدد ، وانعدام النصير الأرضى . . إن هذه الدرجة وحدها التى تصلح للقاعدة الأصيلة الثابتة عند نقطة الانطلاق الأولى .

هذه القاعدة الصلبة من السابقين من المهاجرين والأنصار . . كانوا هم الحراس الأقوياء الأشداء فى فترة التخلخل التى أعقبت النصر فى بدر بالتوسع الأفقى الذى جاء بأعداد جديدة لم تنضج بعد ، ولم تتناسق مع القاعدة فى مستواها الإيمانى والتنظيمى .

وأخيرا فإن القاعدة الصلبة التى اتسعت قبيل الفتح ، هى التى حرست الإسلام وصانته من الهزات بعد الفتح ثم الهزة الكبرى بعد وفاة النبى ﷺ وارتدت الجزيرة عن الإسلام .

إنه ابتداء يجب توجيه الحرص كله لإقامة القاعدة الصلبة من المؤمنين الخلص ، الذين تطهرهم المحنة فيثبتون عليها ، والعناية بتربيتهم تربية إيمانية عميقة تزيدهم صلابة وقوة ووعيا ، ذلك مع الحذر الشديد من التوسع الأفقى قبل الاطمئنان إلى قيام هذه القاعدة الصلبة الخالصة الواعية المستنيرة ، فالتوسع الأفقى قبل قيام هذه القاعدة خطر ماحق يهدد وجود أية حركة لا تسلك طريق الدعوة الأولى ، ولا تراعى طبيعة المنهج الحركى الربانى النبوى الذى سارت عليه الجماعة الأولى .

على أن الله سبحانه هو الذى يتكفل بهذا لدعوته ،فحيثما أراد لها حركة صحيحة ، عرّض طلائعها للمحنة الطويلة ، وأخّر عليهم النصر حتى يعلم منهم أن قد صبروا وثبتوا وتهيأوا وصلحوا لأن يكونوا هم القاعدة الصلبة الواعية الأمينة .. نصرهم ومكن لهم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

مختصر من الظلال : ١٥٧٠ وما بعدها

* * *

الباب الرابع
الثبات على طريق الدعوة

تمهيد :

المؤمن إذا عرف أن له ربا خلقه وخلق ما حوله ، فإن مجرد هذه المعرفة لا تكفى ، إذ لا بد من الإيمان بذلك ، فإن الشيطان عرف أن له ربا بيده ملكوت كل شيء ، لكنه استحب الدنيا على الآخرة فقال ﴿ **أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ الأعراف : ١٤ ، ولا يكفى الإيمان دون عمل ، فالذين عرفوا أن الله خلق السموات والأرض وقالوا : ربنا ما خلقت هذا باطلا .. وعرفوا أن للطريق نهاية إما جنة وإما نار فاستعاذوا الله من النار .. وسمعوا نداء الإيمان فآمنوا .. كل هذا لا يكفى بل لابد من العمل ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم** ﴾ آل عمران : ١٩٥ ثم بين سبحانه أن من الأعمال : الهجرة والإخراج من الديار وتحمل الأذى فى سبيل الله ، وهذا لا يكون إلا عند تبليغ الدعوة إلى الناس لإقامة دين الله وتحكيم شريعته ومنهجه ﴿ **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا** ﴾ آل عمران : ١٩٥ .

هؤلاء هم الذين يستحقون أحسن الثواب ﴿ **لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ**

﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ آل عمران : ١٩٥

فالمسألة جد خطيرة . لابد من الفهم الصحيح ، والإيمان العميق ، والعمل المتواصل على الصراط الذى كان يدعو إليه الرسول ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المؤمنون /٧٣ . . ولا يكفى هذا كله حتى يثبت على ذلك ويموت عليه ، فإن العبرة بالخواتيم .

والدعوة إلى الله : فريضة شرعية وضرورة بشرية . . وطريق هذه الدعوة هو طريق الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . الذين ساروا على طريق إمام الدعاة والمتقين ، الذى أمره ربه أن : قم فانذر وأن يقول : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف : ١٠٨ .

والكلام عن الثبات على طريق الدعوة يكون على أساس مبدأ أصلح نفسك وادع غيرك ، وهذا يقتضى أن نتكلم فى الفصل الأول عن الثبات على العمل لإصلاح النفس ، ثم فى الفصل الثانى : عن الثبات على العمل الدعوى ، ولما كان طريق الدعوة طويلة ، متعددة المراحل ، كثيرة العقبات ، فسنفرد لذلك الفصل الثالث .

* * *

الفصل الأول

الثبات على العمل لإصلاح النفس

العلم أساس القول والعمل :

إن المؤمن الذى يحترم نفسه ويخشى الله ، لا يمكن أن يقول أو يعمل فى الإسلام شيئاً إلا إذا كان مستنداً إلى العلم ، والمقصود بالعلم : الكتاب والسنة .

قال البخارى : العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ . فبدأ بالعلم ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وقال النبى ﷺ : « من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين » وإنما العلم بالتعلم . . . وقال ابن عباس : كونوا ربانيين حكماء فقهاء .

ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره .

قال فى فتح البارى : أراد به أن العلم شرط فى صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل . . وإنما العلم بالتعلم أى ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء وورثتهم على سبيل التعلم . وقد فسر ابن عباس (الربانى) بأنه الحكيم الفقيه . . وقيل الربانى نسبة إلى الرب، أى الذى يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل . . وقيل للعلماء ربانيون لأنهم يربون العلم أى يقومون به ، وزيدت الألف والنون

للمبالغة .. وقيل يعلمهم جزئياته قبل كلياته ..

الحديث رواه البخارى : كتاب العلم : ٧١ ومسلم فى الزكاة : ١٠٣٧ . وانظر فتح الباري : ١/١٩٣ وما بعدها .

العمل لإصلاح النفس :

على المسلم أن يؤدى الفرائض ويتزود بالتقوى ويتحلى بآداب وأخلاقيات الإسلام لإصلاح نفسه أولاً قبل أن يدعو غيره ، والآيات فى ذلك كثيرة وكذا الأحاديث ونحيل فيها إلى كتب أصول الدعوة .

وإصلاح النفس بأن يكون المسلم : قوى الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادر على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة ، مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته ، منظماً فى شئونه ، نافعاً لغيره .

الثبات على العمل :

كانت وصية الله لعيسى عليه السلام بالمداومة على الصلاة والزكاة ما دام حيا ﴿ ...**وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ مريم: ٣١ .

ووصف الله عباده المؤمنين بأن أعمالهم ثابتة ، يداومون عليها ويحافظون . ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ المعارج ٣٤ ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾ المعارج : ٢٣ .

وفى الحديث عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا عمل

عملاً أثبته . . » .

مسلم فى صلاة المسافرين : ٧٤٦ / ١٤١ ، وأثبته : جعله ثابتا غير متروك .

وفى الحديث : « أكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » وكان إذا عمل عملاً أثبته .

أبو داود : الصلاة : ١٣٦٨ والنسائى : القبلة : ٧٥٨ وفى الإيمان : ٥٠٤٥ والبخارى فى اللباس ٥٨٦١ ورواه غيرهم .

قال فى عون المعبود : أكلفوا من العمل : أى تحملوا من العمل ما تطيقونه على الدوام والثبات . . والله لا يمل من الثواب ما لم تملوا من العمل ، وأثبته : داوم عليه . عون المعبود : ٤ / ٢٤٢ .

وفى الحديث ، أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت على فمرنى بأمر أتشبث به ، قال : « لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عز وجل » .

مسند أحمد : ٤ / ١٩٠ شاكر / حمزة : ١٧٦٢٨ صحيح والترمذى فى الدعوات : ٣٣٧٥ غريب وابن ماجه : الادب : ٣٧٩٣ وجامع العلوم والحكم الحديث الخمسون .

قال الحسن : أحب عباد الله إلى الله أكثركم ذكراً وأتقاهم قلباً .

وقال الجنيد : من علامة المحب لله ، دوام الذكر بالقلب واللسان .

الثبات على الإيمان حتى الموت :

إن طريق الإسلام هو طريق الهداية والحق والرشاد ، ولا يرغب عن هذا الطريق إلا من ظلم نفسه بتركه الحق إلى الضلال ، قال تعالى ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ البقرة : ١٣٠

ولذلك كانت وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه : أن يتمسكوا بهذا الدين حتى الموت ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ البقرة : ١٣٢

ومن هنا كان دعاء يوسف عليه السلام ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ يوسف : ١٠١ .

وقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ آل عمران : ١٠٢

قال ابن مسعود فى تفسير « حق تقاته » : ان يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

فمن أراد أن لا يموت إلا مسلما ، فعليه أن يكون فى كل لحظة على الإسلام لأن الموت غيب ، ويأتى فى أى لحظة .

الثبات على العبودية حتى الموت :

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالعبودية والصبر عليها والثبات ، قال

تعالى ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ مريم : ٦٥

قال الشوكانى فى تفسير الآية : والفاء للسببية لأن كونه رب العالمين سبب موجب لأن يعبد ، وعدى فعل الصبر باللام دون " على " التى يتعدى بها لتضمنه معنى الثبات ، وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾أى حتى يأتيك الموت .

وعبودية الله فى الأرض ليست محصورة فى الصلاة والزكاة والحج : - وإنما كذلك فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبودية الناس إلى عبودية رب الناس ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

العبرة فى الأقوال بالأعمال :

إن القرآن يحكى لنا تجربة الملأ من بنى إسرائيل الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، فقد وجب القتال ووجدت أسبابه ﴿ .. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا .. ﴾ البقرة : ٢٤٦ تولوا فلم يثبتوا ، وكذلك كانت التصفيات حتى ثبتت الفئة القليلة التى أيقنت بالله وبلقائه .. وهؤلاء نصرهم الله .

إن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ، ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل .. وإن رجل القول غير رجل العمل ورجل

العمل غير رجل الجهاد ، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذى يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات

من رسالة المؤتمر الخامس

العبرة فى الأعمال بالخواتيم :

ففى الحديث " ... إنما الأعمال بخواتيمها "

جزء من حديث البخارى : الرقاق : ٦٤٩٣ وفى القدر : ٦٦٠٧ والترمذى: القدر : ٢١٣٧ حسن صحيح وأحمد : ٥/٣٣٥ : ٢٢٧٣٣ صحيح .

وفى الحديث « إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته » فسأله رجل من القوم ، ما استعمله ؟ قال : « يهديه الله عز وجل إلى العمل الصالح قبل موته ثم يقبضه على ذلك » .

احمد : ٤/١٣٥ شاكر /حمزة : ١٧١٥١ صحيح صححه الحاكم ووافقه الذهبى

وفى رواية : « إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا عسله » قيل وما عسله ؟ قال : «يفتح الله عز وجل عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه » . احمد : ٤/٢٠٠ : ١٧٧١٢ صحيح

والعبرة فى الأعمال بالقبول :

العبرة فى العمل بالقبول ، ومن هنا كان الدعاء بعد العمل الصالح فى بناء الكعبة ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ البقرة/ ١٢٧ .

وفى أعمال الحج كل يريد أن يسابق .. وفى ذلك قال عمر بن عبد العزيز ليلة عرفة بعرفة عند قرب الإفاضة : ليس السابق اليوم من سبق بعيره ، وإنما السابق من غفر له .

جامع العلوم والحكم : ٣٨٦ فى شرح الحديث الخمسين

وفى الحديث : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ " لا شئ له " فأعادها ثلاث مرات ، يقول له الرسول ﷺ " لا شئ له " ثم قال : "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه "

النسائى : الجهاد : ٣١٣٧

والمعروف أن الله لا يقبل العمل إلا ما كان خالصا صوابا .. خالصا لله ليس لأحد فيه شئ ، صوابا : أى على السنة . متبعا لا مبتدعا .

* * *

الفصل الثانى
الثبات على العمل الدعوى

على العامل فى حقل الدعوة إلى الله أن يتزود بخير الزاد وأن يبلغ ما أنزل الله ، ولا يكتم شيئا ولا يخشى إلا الله ، فلا يبدل ولا يغير ولا يحرف لقاء متاع من الدنيا ، وأن يثبت على طريق الحق حتى يلقى الله عز وجل وهو عنه راض .

زاد الداعية :

إن الداعية معلم ، فزاده العلم من الكتاب والسنة ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، وخير الزاد التقوى ، وتدبر الآيات والعمل بالتنزيل والخوف من الجليل والاستعداد ليوم الرحيل .. ومعرفة أن ما عند الله باق وما عند الناس إلى زوال .. وأن الناس لو اجتمعوا على أن يضروه .. لن يضروه إلا بشئ قد كتبه الله عليه ..

ويروى فى سبب نزول سورة المزمل أن قريشا اجتمعت فى دار الندوة تدبر كيدها للنبى ﷺ ولدعوته .. فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فاغتم له والتف بثيابه وتزمل .. فجاءه جبريل عليه السلام بأول هذه السورة فظل يقوم الليل هو وطائفة من الذين آمنوا معه حتى ورمت أقدامهم فنزل التخفيف .

ففى ظلال هذه المؤامرات على النبى ﷺ ودعوته ، كان النداء

من السماء بالتكليف بتلاوة القرآن العظيم والصلاة فى جوف الليل... فهذا هو زاد الثبات وزاد الجهاد لأهل هذه الدعوة .. والذكر والمناجاة والتوكل على القوة القاهرة الوحيدة فى الوجود .. مع الصبرعلى الأذى وترك أمر المكذبين والكائدين لهذه الدعوة إلى الله ، فهو كفيل بهم ، ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ المزمل : ١١

تبليغ الدعوة :

تبليغ الدعوة أمانة .. لا يحملها ولا يثبت عليها إلا الصادقون ، وقد وردت آيات كثيرة تأمر بالبلاغ والإنذار والتبشير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. لا تخفى على القارئ ... وهناك أحاديث كثيرة فى هذا الصدد نذكر منها:

١- " .. ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه " . جزء من حديث البخارى فى العلم : ٦٧ ورواه غيره بألفاظ مختلفة .

والمراد : رب مبلغ عنى ، أوعى ، أى أفهم لما أقول من سامع منى .. والشاهد أى الحاضر فى المجلس ، والغائب : الغائب عنى ، وفى الحديث الحث على تبليغ العلم .. وأنه قد يأتى فى الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه ..

٢ - " نضّر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه " .
أبو داود : العلم : باب نشر العلم : ٣٦٦٠ والترمذى : العلم : ٢٦٥٧

حسن صحيح وابن ماجه : المقدمة : ٢٣١ والدارمي : المقدمة : ٢٨٨

٣ - " بلغوا عنى ولو آية .. " جزء من البخارى : الأنبياء : ٣٤٦١ والترمذى : العلم : ٢٦٦٩ حسن صحيح والدارمي : المقدمة : ٥٤٢

٤ - « مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله » . الدارمى : مقدمه : ٥٥٦ وأحمد : ٢/٤٩٩ : ١٠٤٢٤ صحيح .

٥ - وقال أبو الدرداء " .. . مثل العالم كمثل رجل حمل سراجا ، فى طريق مظلم يستضئ به من مر به ، وكل يدعو له بالخير" الدارمى : مقدمة : ٥٥٧

ثبات وسائل العمل الدعوى :

والدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، فلا عنف ولا إكراه .. وقد أرسل الله موسى وأخاه عليهما السلام إلى فرعون الطاغية وأمرهما﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ طه : ٤٤ .

" وليست الوسيلة القوة ، فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولا ، وتناجى القلوب ، وتطرق مغاليق النفوس ، ومحال أن تثبت بالعصا .. ولكن الوسيلة فى تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات وخلاصة ذلك جملتان : إيمان وعمل ومحبة وإخاء .. ماذا فعل رسول الله ﷺ فى تركيز دعوته فى نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل ثم جمع قلوبهم على الحب فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة

الوحدة ، وصارت جماعتهم هى الجماعة النموذجية التى لابد أن تظهر كلمتها ، وتنصر دعوتها ، وإن ناوأها أهل الأرض جميعا ..

من رسالة دعوتنا فى طور جديد

إن الوسائل العامة فى الدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور :

١ ـ الإيمان العميق ٢ ـ التكوين الدقيق ٣ـ العمل المتواصل

من رسالة بين الأمس واليوم

ثبات الداعية على الطريق :

القرآن العظيم ملئ بتجارب الرسل مع أقوامهم .. ومدى ثباتهم على طريق الدعوة مهما كان التكذيب والاستهزاء والسخرية والأذى.. لتكون القدوة الثابتة للأجيال من بعدهم .

فهذا نوح عليه السلام مكث ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو .. لم يترك وسيلة من وسائل الدعوة إلا سلكها ، دعا قومه سراً وجهرا وعلانية ، فى الليل والنهار .. فما كان إلا الإعراض والإصرار على العناد والمكر السئ والاستكبار ..

إن الرسل يبذلون جهودا كبيرة وتضحيات عظيمة .. لكى يصل الإيمان إلى القلوب المغلقة والآذان الصم والأعين العمى .

ورسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، عاش لدعوته .. ولاقى من المحن والشدائد .. ومع ذلك كان صابرا ثابتا على دعوته .

وأمام ثبات النبى ﷺ وصبره على أذى قومه .. وعدم تحمل قريش لهذا ، فقد مشوا إلى أبى طالب .. فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك ابن أخيك فلم تنته عنا ، وإنا لا نصبر على هذا .. ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه .. "

ثم بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى ما لا أطيق ، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداءة وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه ضعف عن نصرته .. فقال له رسول الله ﷺ : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته " فقال أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا " ابن هشام : ١ / ٢٠٠

وهكذا كان النبى ﷺ المثل الأعلى فى الثبات على الحق ، فلم تلن له قناة ، ولم يثنه عنها إغراء ولا تهديد ، حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ..

الثبات وعدم التحريف أو التبديل :

لقد جاء كل دين ليكون منهجا للحياة ، يحكمها وينظمها ويوجهها ، لا ليكون فى الضمير فقط ، والله يضرب لنا مثلا من بنى

إسرائيل .. وكيف حرفوا وبدلوا ويعلمنا أن العمل الدعوى سيواجه معارضة من الكبراء والطغاة وأصحاب السلطان .. كما سيواجه معارضة أصحاب المصالح القائمة على الاستغلال والظلم والسحت .. لأن شريعة الله العادلة لن تبقى لهم مصالحهم الظالمة ، وسيواجه معارضة من ذوى الشهوات والمتاع الفاجر ، لأن دين الله سيأخذهم بالتطهر منها بالعقوبة عليها ، وسيواجه معارضة جهات شتى ، لا يرضون أن يسود الخير والعدل والصلاح .. ومن هنا كان لابد لأصحاب الدعوة الذين حملوا الأمانة .. المستحفظين عليها والشهداء ، أن يواجهوا ذلك ، ومن هنا يناديهم ربهم ﴿ **فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾ المائدة : ٤٤ فلا تخشوا هذه الفئات .. لا تقف خشيتكم لهؤلاء حائلا دون تنفيذ شريعة الله ، فالله وحده هو الذى يستحق أن تخشوه .

كذلك قد تراود بعض المستحفظين على كتاب الله المستشهدين، أطماع الحياة الدنيا فيميلون مع أصحاب الشهوات والسلطان ، كما يحدث من رجال الدين المحترفين فى كل زمان ، فناداهم ﴿ **وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ المائدة : ٤٤ وذلك لقاء السكوت أو التحريف أو الفتاوى المدخولة .. وكل ثمن هو فى الحقيقة قليل ولو كان ملك الحياة الدنيا ، يباع بها الدين وتشترى بها جهنم عن يقين !!

إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن على الدين وليس أبشع من تفريط المستحفظ ! مختصر من ظلال القرآن .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب : ٣٩ .

قال ابن كثير : (يبلغون رسالات الله) أى إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها .. ولا يخافون أحدا إلا الله .. فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله .. وكفى بالله ناصرا ومعينا ..

وقد ورث مقام البلاغ عن النبى ﷺ أمته من بعده ، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم - بلغوا عنه كما أمرهم به فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، فى ليله ونهاره ، وحضره وسفره، وسره وعلانيته ، فرضى الله عنهم وأرضاهم .. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا ، فبنورهم يقتدى المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك الموفقون ، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم .. وفى الحديث " لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله عليه فيه مقالا ثم لا يقوله ، فيقول الله : ما منعك أن تقول فيه ؟ فيقول : رب خشيت الناس ، فيقول : وأنا أحق أن يخشى " .
ابن ماجه : الفتن : ٤٠٠٨ وأحمد : ٣/٣٠ : ١١١٩٤ .

وفى الحديث " من كتم علما يعلمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار" ابن ماجه : مقدمة : ٢٦٥ وأحمد : ٢/٤٤٩ : ١٠٤٣٥ صحيح .

* * *

الفصل الثالث

الثبات رغم عقبات الطريق

طريق الدعوة ليست مفروشة بالورود ، إنما يحتاج السائر فيها إلى الصبر والثبات والتصميم والعزيمة على السير حتى نهاية الطريق .. كما يحتاج السائر فيها إلى حصانة إيمانية ووعى كبير ضد المغريات والمفتريات والضربات المتتالية وتنوع الأساليب للصد عن سبيل الله .. وهذه العقبات ابتلاء وامتحان للثبات على الطريق .

وطريق الدعوة طويلة المدى ، لأنها دعوة الله الباقية ببقاء الإنسان على الأرض مع وجود الصراع المستمر بين الحق والباطل ..

وهذا الصراع يحتاج من العامل فى حقل الدعوة إلى العمل المتواصل بكافة أشكاله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... وسيرة الرسول ﷺ مليئة بالتجارب العملية .

وطريق الدعوة متعددة المراحل بحسب العقبات والأمراض التى تقابل السائر على الطريق وتشخيصها وعلاجها ، لأن السائر يتعامل مع الناس ، والناس تختلف فى عاداتها وتقاليدها .. ونقلهم من الضلال إلى النور لا يتحقق فى يوم وليلة ، نعم هناك من أصحاب العقول الراجحة التى استجابت للنبى ﷺ فى أول الدعوة ، وهناك من حاربه والذين حاربوه منهم من آمن به بعد ذلك وحارب معه ،

ومنهم من ظل يعاند ويكابر حتى مات على الكفر .. وهكذا كل دعوة .

وأول مراحل الدعوة هى البلاغ والتعريف ثم التكوين واستخلاص العناصر ثم مرحلة التنفيذ وفى أثناء هذه المراحل قد تتجدد مراحل مثل التصدى للمؤامرات وخاصة المؤمرات العالمية المدربة ، والمخططات العالمية ضد الإسلام وأهله .. ومرحلة جمع كلمة أهل الحق .. وأعداء الإسلام لا يزالون يبتكرون الوسائل للصد عن سبيل الله .. وفى أثناء هذا كله قد يفتتن بعض السائرين ويثبت البعض .. وصدق الله ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ البقرة : ٢١٧

أما العقبات على الطريق فهى كثيرة لا حصر لها ولكننا نذكر منها باختصار ..

أولا : عقبات الشيطان :

قدر الله وشاء أن يكون الشيطان عدوا خطيرا للإنسان وأن يكون لكل نبى أعداء من شياطين الإنس والجن ، يحرض بعضهم بعضا على الغواية والشر ويحاربون الدعاة ويضلون الناس .. فهى حرب مستعرة مستمرة لا هوادة فيها .. والله سبحانه قدر هذا لابتلاء

وتمحيص المؤمنين ليرى مدى صبرهم وثباتهم على الإيمان ، والشياطين لا يملكون أن يفعلوا ذلك بقوة ذاتية من عندهم حيث لا يتم ذلك إلا بمشيئة الله وقدره .

قال تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ...** ﴾ الفرقان : ٣١ .

ويقول تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ الأنعام : ١١٢ .

وفى الحديث " إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد " فقال رسول الله ﷺ " فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة ... " الحديث

النسائى فى الجهاد : ٣١٣١ وأحمد : ٣/٤٨٣ : ١٥٩٠٠ حسن .وأطرقة جمع طريق وكمثل الفرس فى الطول بكسر الطاء وفتح الواو وهو الحبل الطويل يشد أحد طرفيه فى وتد ، والطرف الآخر فى يد الفرس ليدور فيه ويرعى .. والمقصود : أن المهاجر يصير كالمقيد فى بلاد الغربة لا يدور إلا فى بيته .. فى ضيق .. شرح النسائى .

فالشيطان يقف للإنسان أمام كل طريق للخير ليبعده عنها ويصرفه عن الحق ويضع أمامه العقبات ..

ولابد أن ينظر العبد إلى شيطانه الذى أمره بالمعصية وزين له فعلها ولابد أن يتخذه عدوا مع كمال التحفظ واليقظة والاحتزاز منه لأنه يضع أمامه العقبات التى لا يخلص من واحدة منها إلا وضع أمامه أخرى .

راجع مختصر مدارج السالكين منزلة التوبة ..

ثانيا : المنافقون :

من العقبات التى تعترض الدعوة وتزعزع الثبات ، وجود المنافقين فى المجتمع المسلم وهى الفئة التى تكن العداوة للمسلمين ولا يستطيع العدو أن يصل إلى المسلمين إلا عن طريقهم .

ومن العجيب أن صنف المنافقين موجود ومتكرر فى المجتمعات الإسلامية ، كما أنبأنا القرآن العظيم بأصناف المجتمع ومنها المنافقون فى أول سورة البقرة ، .. و هذا إعجاز !

والمنافقون أخطر الفئات على المجتمع المسلم لأنهم ينتسبون إلى الإسلام ، وهم أشد فتنة على الإسلام وأهله ، وهم أعداؤه فى الحقيقة ﴿ .. **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** .. ﴾ المنافقون : ٤

وقد ذكر الله صفاتهم وكشف سترهم لنحذرهم ، ومن صفاتهم :

١- أنهم يتظاهرون بالإيمان وفي الباطن هم كاذبون يقولون ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٨ .

٢- هم أهل خديعة ومكر ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾ البقرة: ٩ .

٣- يزعمون أنهم دعاة إصلاح ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة : ١١ - ١٢ .

٤- يظهرون الطاعة والموافقة للرسول ﷺ ويضمرون الشر ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ النساء : ٨ .

٥- إذا كان للمسلمين فتح أو نصر قالوا : ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء : ١٤١ .

٦- هم أهل فتنة في الصف المسلم ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ التوبة : ٤٧ .

٧- منهم من حذق النفاق ومرد عليه حتى ليخفى أمرهم على النبي ﷺ ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ

نَعْلَمُهُمْ ﴾ التوبة : ١٠١ .

٨- فى الغزوات يهربون أو يخذلون أو يعوقون . ففى غزوة أحد انسحب رأس المنافقين ورجع بثلاثمائة من أهل النفاق والريب متذرعا بأن النبى ﷺ أخذ برأى الشباب ولم يأخذ برأيه .. وكان هدفه إحداث بلبلة فى جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبى وتنهار معنويات من بقى معه ، فيكون ذلك هزيمة للمسلمين ..

وسيأتى فى باب الثبات فى المحن : زيادة البلاء على المسلمين بسبب وجود المنافقين فى غزوة الخندق .

هذه بعض صفات المنافقين وهم يمكرون داخل المسلمين ويعرفون أسرارهم ويكشفون عوراتهم لأعدائهم .

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قسم مالا بين ناس فقال رجل للنبى ﷺ يا رسول الله ، اتق الله ، قال ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله ؟ .... ثم ولى الرجل ، قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ؟ قال : لا لعله أن يكون يصلى ، فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، قال : ثم نظر إليه وهو مقف فقال : إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود »

هذا فى رواية البخارى ، وفى رواية مسلم : « يقتلون أهل الإسلام ويدعون عبدة الأوثان ..!! » وهذا مما أخبر به النبى ﷺ من المغيبات فوقع كما قال ﷺ . البخارى : ٤٣٥١ ومسلم : ١٠٦٤ وغيرهما .

ثالثا : المتحمسون المتعجلون :

الذين يتحمسون للدعوة ويتشددون ويندفعون ويستعجلون النصر .. لا يدركون أن سنة الله فى الدعوات أن لا ينصرها بمجرد أن تؤمن بها فئة من الناس دون أن تمتحن فى دينها وتصبر وتثبت على الشدائد حتى يتميز المؤمن الصادق من الكاذب .. وهذا يحتاج إلى وقت لكى تتربى النفوس وتشرب الإيمان ، فهذا خباب ابن الأرت الذى كان يعذب فى أول الدعوة ثم يشتكى إلى النبى ﷺ ويقول : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، فكأنه يقول : آمنا بك .. وها نحن نعذب وأنت نبى مستجاب الدعوة .. وكيف لأهل الحق والإيمان أن يتركوا هكذا .. وأين النصر ؟

إن من سنة الله فى الدعوات أن يترك عباده للابتلاء .. للتربية والإعداد والتمكين حتى إذا اشتدت المحنة فيلجأون إلى الله، ويدعونه ويعلمون أن النصر من عنده وحده .. نصرهم .. قال تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ البقرة : ٢١٤

وخباب لم يكن يدرك هذا ، فبين له النبى ﷺ ما كان يتعرض له المؤمن من الأذى حتى الموت وهو ثابت « ما صده ذلك عن دينه » .. « ولكنكم تستعجلون » ولكنكم تريدون نصرا وتمكينا دون أن تدفعوا الثمن .. وليست هذه سنة الله .

والمتعجلون إن لم تتداركهم رحمة الله ، فإنهم لا يصبرون ولا يثبتون ، وقد ينقلبون على الدعوة وأهلها أو لا يستمرون على الطريق ..

وهناك أناس أدركوا الحق فآمنوا به دون أن يكون فى حسابهم عواقب هذا الإيمان وتكاليفه ، من طول الطريق وكثرة العقبات والمحن .. أو ظنوا أن سلطانهم سيضيع إن هم آمنوا .. والقرآن يحكى عن قوم إبراهيم عليه السلام حين أدركوا الحق بعد تبادل الحجة بالحجة والاقتناع .. آمنوا لكنهم أدركوا أنهم سادة بسبب وجود هذه الأصنام التى تعبد من دون الله فرجعوا وارتدوا ﴿ **ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ** ﴾ الأنبياء : ٦٥ .

وفى الحديث « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع » . رواه البخارى عن جابر ، كشف الخلفاء .

والمتعجلون إذا دخلوا الصف كانوا خطرا عليه ، لذلك تحمس أصحاب طالوت للقتال ، فاختبرهم وحدثت تصفيات حتى خرجوا ولم يثبت إلا القليل من القليل .. وهؤلاء هم الذين أيقنوا أن الثبات

والنصـر من عند الله .. ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ البقرة : ٢٥٠ / ٢٥١ .

ومن هنا كان التحذير :

« اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل .. قد تكون طريقا طويلة ولكن ليس هناك غيرها ، إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة ، والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها فلست معه .. وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف ، فأجره فى ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين ، إما النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة » .

من رسالة المؤتمر الخامس .

رابعا : الذوبان والتطبيع :

يمكر أعداء الإسلام ، مكر الليل والنهار ويعملون على ذوبان

المسلمين فى أعدائهم حتى تضيع هويتهم .. وذلك بقطع الحواجز المادية والنفسية بينهم وأعدائهم .. وكيف يحدث هذا والإسلام يعلو ولا يعلى عليه والمسلمون خير أمة ، وهي الأمة الوسط ، الأمة الرائدة التى تشهد على الناس .. وتقول لهم هذا خطأ وهذا صواب .

﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الحج : ٧٨ .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة : ١٤٣ .

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران : ١٣٩ .

ومن كان يريد العزة فإن العزة لله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المنافقون :٨ .

﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ التوبة : ٥٥ .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴾ الأنفال : ٥٥ / ٥٦ .

ونبه بعدم طاعة أهل الكفر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ آل عمران : ١٠٠ / ١٠١ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ آل عمران : ١٤٩ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة : ١ / ٢ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ المائدة : ٥١ .

ونتائج التطبيع والذوبان خطيرة جداً على المسلمين ، ولا

نستطيع حصر هذه النتائج إنما نذكر على سبيل المثال ما جاء فى الأهرام ملحق الجمعة يوم ٨ / ٦ / ٢٠٠١ تحت عنوان الطابور الخامس .

« هناك ما يقرب من ١٥٫٠٠٠ من الشباب المصريين متزوجون من إسرائيليات .. وتقضى الديانة اليهودية بأن ابن اليهودية يهودى .. وإذا افترضنا أن ال ١٥٠٠٠ انجبوا بواقع طفلين .. أصبح لدينا ٣٠٠٠٠ يهودى مصرى ربما يلتحقون بالتجنيد فى القوات المسلحة أو الشرطة .. مما يهددنا بإيجاد طابور خامس داخل البلاد حيث أن انتماء هؤلاء لن يكون لمصر وإنما لبلد الأم .. وهناك ظاهرة استخدام اليهود للنساء فى عمليات التجسس ... حيث أن التوراة والتلمود يبيحان للمرأة اليهودية بيع جسدها فى سبيل مصلحة بلادها بل ويعتبرونها مهمة مقدسة .. وربما انتهت الحرب العسكرية بيننا وبين إسرائيل عقب اتفاقية كامب ديفيد ولكن بدأت حرب أخرى تختلف عن سابقتها .. وهى حرب أكثر دمارا وتخريبا .. تدمير الاقتصاد .. وإحداث فرقة بين أبناء الشعب الواحد وغرس جذور الفتنة الطائفية ، بينما التزم الإعلام المصرى بعدم مهاجمة إسرائيل إلا أن الثانية لم تلتزم بإيقاف معاداتها للعرب ومصر .

.. وستعلم إسرائيل من خلال هذه الزيجات خبايا المجتمع المصرى اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا بدلا من إرسال جواسيس أو

تجنيد خلايا .. هؤلاء عرضة لدخول القوات المسلحة .. والولاء للأم التى أرضعتهم الصهيونية .. » واكتفى بهذا ، ولا تعليق .

خامسا : الغزو الفكرى :

إن أعداء الإسلام حاربوا أهله عسكريا وطالت هذه الحروب .. وكان المسلمون يجاهدون ، وكانت الأمور واضحة .

والآن فكر أعداء المسلمين فى غزو من نوع آخر هو غزو فكرى خبيث يتمثل فى بث أفكار معادية للإسلام وإلقاء الشبهات حول القرآن والتشكيك فى السنة وتزوير التاريخ وذلك بأساليب مختلفة وإنتاج نظريات وفلسفات وشعارات جذابة تحت أسماء مختلفة .. وللأسف أن هذا يدرس فى بلاد المسلمين !!

إن أعداء الإسلام بحثوا عن السر فى قوة المسلمين الذين أنشأوا دولة هزمت فارس والروم فى بضع سنين .. فوجدوا أن السر فى قوتهم يكمن فى تلك العقيدة ، فحاولوا تشويهها ومحاربة من يتمسك بها .. وصدق الله ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ البقرة : ٢١٧ ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** .. ﴾ النساء : ٨٩ .

وهناك الجمعيات السرية المدربة الهدامة التى تعمل فى الخفاء وتبث الأفكار المعادية والتحلل من الأخلاق باسم التحرر وتزيين الرذيلة والمخدرات .. ونشر الأفكار المعادية عن طريق الجريدة والمجلة

والمدارس والجامعات الأجنبية وعن طريق أسماء مختلفة : الشيوعية، العلمانية ، الماسونية ، الروتارى ، القديانية ، البهائية .. وللأسف فإن بعض الشباب وقع فى مخالب هذه الجمعيات .. وقد سمعنا أخيرا عن تنظيم يبيح الشذوذ والأفكار الغريبة عن مجتمعنا..

وهؤلاء عندهم إمكانيات كبيرة وهائلة ، ومؤسسات ضخمة .. والهدف من ذلك كله : تغريب المسلمين وتمزيق وحدتهم وإثارة الفتن والنعرات القومية والعمل على تقليل النسل وتأخير سن الزواج والقضاء على الحركات الإسلامية وشغل المسلمين بقضايا تافهة لا تنفعهم .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

الباب الخامس
الثبات فى طريق المحن والجهاد
الفصل الأول
الثبات فى طريق المحن

الابتلاء سنة ثابتة :

الابتلاء سنة جارية ثابتة وهو ضرورة لتمييز الصفوف وتمحيص القلوب .

قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾ آل عمران : ١٧٩ قال ابن كثير : أى لابد أن يعقد سببا من المحنة يظهر فيه وليه ، ويفتضح فيه عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعنى بذلك يوم أحد الذى امتحن به المؤمنين فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ ، وهتك به ستر المنافقين ، فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله .

الصبر والثبات على الأذى والتعذيب :

قال فى فتح البارى : إن عائشة قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم » فذكر قصة الطائف وقال ﷺ : لقد أوذيت فى الله

وما يؤذى أحد ، وأخفت فى الله وما يخاف أحد .. » وروى ابن اسحاق من حديث ابن عباس ، قال :« والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم »

فتح البارى : ٧/٢٠٣ وحديث عائشة رواه الترمذى : صفة القيامة : ٢٤٧٢ وأحمد : ٣/١٢٠ : ١٢١٥١ صحيح

وعن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، ما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله ، و الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .

البخارى : المناقب : ٣٦١٢ ، وأحمد : ٥/١١١ : ٢٠٩٧١ صحيح .

ولقد تعرضت الحركات الإسلامية منذ فقد المسلمون الخلافة لصنوف الأذى والتعذيب وأعدم منها رجالا فى محنة ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ بسبب حادثة مصطنعة وحكم على مئات منهم بأحكام تتراوح بين المؤبد والأشغال الشاقة وغيرها وغيبوا فى السجون ولاقوا

صنوف الأذى والتعذيب والأعمال الشاقة والتهديد .. بالقتل ، وقتل منهم فى داخل السجون أيضا !! وعندما أتم بعضهم مدة الحكم وحان موعد الإفراج ، كان ترحيلهم إلى المعتقل مدى الحياة !! ولقد ثبتوا فى السجون ولم يغيروا ولم يبدلوا .. ثم شاء الله أن يخرجوا إلى الحياة مرة أخرى بنعمة من الله وفضل .

وبعضهم خرج وكتب عن حياة التعذيب والظلم والسجن والأحكام وغيرها، أذكر منهم : أ. عبد الحليم خفاجى فى كتابه : عندما غابت الشمس ، والمرحوم / جابر رزق ، والمستشار / على جريشة ، وأحمد أبو شادى وغيرهم ..

ابتلاء أصحاب الدعوات سنة ثابتة :

إن أصحاب الدعوات ليس لهم هدف إلا تبليغ دعوة الله وتحقيق منهجه فى الأرض ، وحين يعلنون ذلك ، فلابد أن يقوم الباطل ويتصدى .. ولابد من العنت والبلاء ، وهذه سنة ثابتة ، وقد تطول المعركة وتكثر العقبات .. ليمحص الله المؤمنين ، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم أمام الشدائد ولم يهنوا .. معتصمين بالله مستيقنين أن النصر من عند الله وحده ، ثابتين على الحق ، ينتظرون إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة جاءهم نصر الله ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ**

نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة : ٢١٤ .

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام : ٣٤ .

إن قانون الله واحد وطريق الدعاة واحد ، تكثر فيه العقبات .. الأذى والتكذيب والمعاناة .. والموكب يسير في الطريق ، لا ينحني ولا يضعف ولا يستكين ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ آل عمران : ١٤٦

وسنذكر صورا من الثبات على طريق المحن ، منها :

أولا : الثبات أمام الإغراء الجنسي :

ركز الله تعالى في الإنسان الغريزة الجنسية ، لبقاء النوع الإنساني وعمارة الحياة وللاستخلاف في الأرض .. خلق الزوجين الذكر والأنثى ، وجعل كل منهما فتنة للآخر وزود كل منهما بخصائص معينة وأرشدهما إلى الطريق المستقيم الذي تصح به الحياة وتستقيم .. فشرع الله الزواج وحرم الزنا .

والإنسان قد ينحرف عن الطريق أمام الإغراء الجنسي .. وفتنة النساء فتنة خطيرة حذرنا منها ربنا عز وجل فقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ .. ﴾ آل عمران : ١٤ .

فجعل أول الزينة وأول الفتنة فى النساء ، ثم حب البنين من الذرية ثم ... وهناك أحاديث كثيرة فى فتنة النساء .

راجع آداب غض البصر صـ ٦٣ للمؤلف .

والله سبحانه ضرب لنا مثالا يحتذى وقدوة نتأسى بها فى الثبات أمام محنة الإغراء الجنسى ، فقص علينا من أحسن القصص : يوسف مع امرأة العزيز ، وكيف حاولت المرأة جذبه وإغراءه وإثارته لدرجة أنها صرحت فراودته عن نفسه ..وهو ثابت .. يعتصم بالله .. ثم أصرت وأقسمت أنه إذا لم يفعل سيكون مصيره السجن فاختار السجن .. ولم تلن له قناة ولم تضعف له عزيمة ..

وامرأة العزيز ، امرأة ذات منصب وجمال .. امرأة أكبر شخصية بعد الملك ، تملك كافة وسائل الإغراء ، وهى فى فترة الشباب ، لا تستحى ولا تحسب حساب مركزها الاجتماعى وكرامتها أمام شخص تابع لها .! وهى التى تطلب ! مع أن من طبيعة المرأة الحياء .

أما يوسف فهو الكريم ابن الكريم ... يمكر به إخوته فيلقوه فى ﴿ غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ ثم يباع فى سوق الرقيق ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ والذى اشتراه هو عزيز مصر أكبر شخصية بعد الملك .. وقال لامرأته ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ .

ويوسف الكريم ، اختاره الله وأتم عليه نعمته ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ ولما بلغ أشده وهبه

﴿ حُكْمًا وَعِلمًا ﴾ .

المرأة تراود يوسف عن نفسه !

قدر الله تعالى أن يوجد يوسف فى وسط بيئة حاكمة لها سلطة وسيادة ، بيئة مترفة مليئة بالمغريات والفتن .

ولما بلغ فى هذه البيئة ... وبدلا من أن تتخذه امرأة العزيز ولدا لها .. اتخذته عشيقا لها و راودته عن نفسه .

﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ** ﴾ المراودة : الطلب برفق ولين أى طلبت منه أن يواقعها . والمراودة : أن تنازع غيرك فى الإرادة فتريد غير ما يريد ومنه قوله تعالى ﴿ **سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ** ﴾ أى نحتال عليه ونخدعه عن إرادته ليرسل أخانا .. وراودته تقتضى التكرار والمعاودة ، بالكلمة بالنظرة ، بالحركة ، بالدعابة ، بالتزيين له وإغرائه ... وهى مراودة مكشوفة ودعوة سافرة .. أرادت أن تثنيه عن امتناعه وتصميمه وثباته .. وأعدت العدة لذلك .

﴿ **وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ** ﴾ وصلت إلى مرحلة لا تصبر بعدها ، ولكى تطمئن وتخلو به ولا يوجد ما يعكر عليها .. غلقت الأبواب .. وحتى يكون يوسف أمام الأمر الواقع لا مفر منه وفى أمان !

﴿ **وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾ هلمّ وأقبل ونفذ ما أريده أنا منك ، قال يوسف : ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ** ﴾ أن أكون من الجاهلين الظالمين .. إنه لا يفلح الظالمون الخائنون الذين يرتكبون المعاصى ويخالفون أمر ربهم

... لقد صدها يوسف وهي سيدته وهو خادمها !!

﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا** ﴾ يقال هم بالأمر ، إذا قصده وعزم عليه . والمعنى اللغوى : أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته .. بمقتضى الطبيعة البشرية .. لكن يوسف لم يقصد ذلك كما سيأتى وقيل هو حديث نفس من غير عزم .

وقيل : همت به للفعل .. ولولا أن رأى برهان ربه ، والبرهان الذى رآه : هو أن الله حرم الزنا وأن الله يراه ويراقبه ومطلع عليه .. ولولا ذلك لهمّ بها ، والمعنى : أن البرهان سبق الهم ومنعه ، أى أنه لم يهم لأن البرهان منعه .

وقيل : إن الحادثة وقعت قبل النبوة وأن الهم كان بمقتضى الطبيعة البشرية .. وإنما هم ولم يفعل ، لأنه تذكر ربه ، والعبرة بمن فعل وليس بمن همّ لأن من هم بسيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة .

والذى نرجحه قول من قال : إنه هم بمعنى حديث النفس ، وهى مجرد خاطرة سريعة عابرة ثم تذكر الدليل والبرهان على حرمة الزنا... ولولا ذلك لوقع بها . وهذا من باب ﴿ **وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً** ﴾ الإسراء : ٧٤ .

ويؤيده : ١- أنه حين راودته المرأة امتنع واستعصم .

٢- لم يذكر أنه راودها كذلك عن نفسها .

٣- أنه حين ألحت عليه ، كان النفى الصريح القاطع ﴿ **معاذ**

الله ﴾ إن الذى ربانى أكرمنى ، فكيف أقابل النعمة بالمعصية والحسنة بالسيئة ؟ .

٤- وفى مقام قوله ﴿ **معاذ الله** ﴾ لا يمكن القول بأنه هم بها كما همت هى به .

٥- وطالما أنه استعاذ بالله فكان لابد أن الله يستجيب له ﴿ ... **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ يوسف : ٢٤ ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم** ﴾ يوسف : ٣٤ .

٦- أن المرأة صرحت للنسوة أنه امتنع ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ..** ﴾ يوسف : ٣٢ .

٧- أنه لما خير بين الفعل أو السجن قال ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ** ﴾ يوسف : ٣٣ .

هكذا كان إصرار يوسف عليه السلام وثباته أمام الإغراء الجنسى، ولو كان همه بها كهمها هى به فقد تساويا .. فأين النبوة وأين القدوة ؟! .

والذى أرجحه يتفق مع عباد الله الذين يخشونه ويظلهم الله تحت ظله، ومنهم رجل دعته مرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله فكيف بيوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم . حديث « سبعة يظلهم الله تحت ظله . رواه البخارى : ٦٦٠ ومسلم : زكاة: ١٠٣١ .

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ يوسف يريد الفرار والخروج من الباب ، وهى تريد أن تسبقه إليه لتمنعه ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ﴾ جذبت قميصه من ورائه فانشق .. وهنا كانت المفاجأة ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ .

ويبدو أنها كانت فى هيئة مريبة ، ومنظر يفهم منه أنها كانت تهيأت وتزينت .. وكانت تلهث وراءه .. ومع ذلك ، سرعان ما وجهت التهمة إلى يوسف !؟ ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يوسف : ٢٥ لم تقل إلا أن يقتل أو يطرد أو ينفى من الأرض ، لأنها تريد أن تحتفظ به قريبا منها ! .

وأمام هذا الاتهام الكاذب ، والموقف الخطير ، لم يسكت يوسف بل أعلن براءته ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ هى التى طلبت .. ولم أرد بها سوءا ، وهذه الحقيقة يعلنها يوسف فى صدق وبراءة ، لأن هذا الموقف لا يحتاج إلى صمت ، وإلا فسر ضده .

الحكم فى القضية :

لما رأى العزيز هذا المشهد ، وحضر شاهد من أهلها ، وقد افترض صدقها أولا ، قال : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ يوسف : ٢٦ / ٢٧ فلما رأى العزيز أن ﴿ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ يوسف : ٢٨ فحكم بكذب دعواها

وبراءة يوسف ، واعتبر المرأة أخطأت ﴿ **إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾ المذنبين المتعمدين .

لكن هذا الحكم لا يعلن أمام الشعب .. كيف يتحدث الناس أن ﴿ **امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ** ﴾ وهي امرأة الأكابر ! وهو خادم لها !! ثم قال ليوسف ﴿ **أَعْرِضْ عَنْ هَذَا** ﴾ لا تتحدث به ، أما أنت فـ ﴿ **اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ** .. ﴾

مؤامرة النسوة فى المدينة :

انتشر الخبر بين النسوة اللاتى على صلة بامرأة العزيز ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا** ﴾ يوسف : ٣٠ غلبها حبه أو دخل حبه فى شغاف قلبها ، وشغاف القلب غلافه ، وهو جلدة عليه ، أو اخترق حبه شغاف قلبها ، والنسوة أنكرن هذه الفعلة ﴿ **إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ يوسف : ٣٠ .

فلما علمت المرأة بمكرهن أرسلت إليهن لينظرن إلى يوسف حتى يقعن فيما وقعت فيه .. وأعطت كل واحدة منهن سكينا ، وأثناء تقطيع الطعام قالت ليوسف : أخرج عليهن ... وكانت الدهشة عندما رأينه .. ﴿ **وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ يوسف : ٣١ .

فلما رأت المرأة ذلك أحست بالانتصار عليهن ، قالت وهى لا

تستحى أن تفاخر بإصرارها على الفعل وإن امتنع يوسف واستعصم .. ولو أدى ذلك إلى إغراء جديد فى ظل التهديد ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ يوسف : ٣٢ لابد أن يفعل ﴿ **مَا آمُرُهُ** ﴾ بالأمر !! لأنه لم يأت عن طريق المحايلة ، وهددت بالسجن ، لكن يوسف الثابت على الطريق المستقيم ، لم يخش التهديد .. فمرحبا بالسجن .. إذا كان فيه الخلاص من معصية الله ! والجديد هنا أن النسوة دعونه .. كل واحدة كانت تتمناه لذا قال ﴿ **السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** ﴾ .

يوسف يدخل السجن :

قرر العزيز أن يسجن يوسف رغم الأدلة الواضحة على براءته وعفته ونزاهته ، لأن الحديث قد شاع فى المدينة ، وخشية الفضيحة، وإيهاما أنه هو المخطئ أو لإبعاده عن المرأة ﴿ **حَتَّىٰ حِينٍ** ﴾ إلى مدة غير معلومة ، وقيل : حتى انقطاع ما شاع فى المدينة .

إعادة التحقيق وبراءة يوسف :

شاء الله أن يرى الملك رؤيا لم يفسرها أحد إلا يوسف .. ويعجب الملك بشخصية يوسف وحكمه وعلمه ، فيستدعيه ، لكنه أبى أن يخرج إلا بعد التحقيق وإثبات براءته وحتى تتضح الأمور للناس .. لأنه ظلم بكيد امرأة العزيز ظلما بينا .. وبعث رسالة مع

رسول الملك ﴿ **ما بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ فسأل الملك النسوة ﴿ **قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾ فاعترفت النساء ثم اعترفت امرأة العزيز ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ وأمام هذه الاعترافات كان الحكم بالبراءة .. وجعله الملك على خزائن الأرض ، وانتصر الحق والعدل .. والعاقبة للمتقين ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ يوسف : ٥٦ .

وسورة يوسف تحكي صنوف المحن التي تعرض لها .. وهو ثابت على الطريق ، متصل بالله وما كانت أمنيته إلا أن يثبته الله على الدين حتى يلقاه ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ .

ثانيا : الثبات أمام عروض الدنيا :

إن المؤمن يعلم أن الحياة إلى نهاية وأن متاع الدنيا قليل ومتاع الغرور .. وأن ذلك كله ابتلاء .

وقد تعرض كعب بن مالك لهذا الابتلاء، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ونزلت فيهم ﴿ **الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾

التوبة : ١١٨ ، وكعب رضى الله عنه لم يتخلف عن غزوة من غزوات النبى ﷺ إلا فى هذه الغزوة .

ولما عاد النبى ﷺ من غزوة تبوك ، خشى كعب أن يكذب على النبى ﷺ بعذر يخرج به من سخط النبى ﷺ فيكشفه الله تعالى .. فقال يا رسول الله : إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلا .. ثم قال : والله ما كان لى عذر .. قال النبى ﷺ : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك .. قال : ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة . فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ... فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .. وكنت أشهد الصلاة وأطوف بالأسواق فلا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ . فأسلم .. فإذا التفت نحوه أعرض .. قال ففاضت عيناى ... فبينما أنا أمشى بسوق المدينة ، إذا نبطى من أنباط الشام يقول : من يدلنى على كعب بن مالك ، فطفق الناس يشيرون إلى حتى جاء فدفع إلى كتابا من ملك غسان .. فإذا فيه « أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فألحق بنا نواسك ، قال : فقلت : وهذا أيضا من البلاء قال : فتيممت به فى التنور فسجرته أى أحرقته ..

راجع تفسير آية التوبة : ١١٨ والحديث رواه البخارى : التفسير : ٤٦٧٧ ومسلم : التوبة : ٢٧٦٩ وغيرهم .

هكذا كان ثبات كعب بن مالك رضى الله عنه رغم المغريات التى عرضت عليه فى الوقت الذى أعرض عنه الناس .. لكنه يعلم عاقبة قبول هذا العرض من ملك غسان .. ولولا الإيمان وثباته عليه لاستجاب ..

ثالثا : الثبات رغم الشدائد فى غزوة الخندق :

غزوة الخندق من الغزوات التى انتصر فيها المسلمون بسبب ثباتهم على الشدائد والكروب حيث لم يكن هناك قتال ولا سلاح، وكذلك كان النصر فى غزوة حمراء الأسد ، ونكتفى هنا بالإشارة إلى ثبات النبى ﷺ وأصحابه فى غزوة الخندق والعوامل التى ساعدت على ثبات المسلمين فيها .

شدة البلاء فى غزوة الخندق :

كانت هناك شدائد مثيرة متنوعة فى هذه الغزوة ولولا ثبات المسلمين لهزموا فيها ، ونذكر من هذه الشدائد :

١- المؤامرة : عمل اليهود من بنى النضير على تجميع أعداء المسلمين لاستئصالهم ، فذهبوا إلى قريش وأقنعوهم بمحاربة المسلمين مع علمهم بصدق رسالة النبى ﷺ كما ذهبوا إلى غطفان وغيرهم وحثوهم على قتال النبى ﷺ ولما سمع النبى ﷺ بذلك ضرب الخندق وعمل فيه ومن معه من المسلمين.

٢- حفر الخندق : لقد كان العمل الدائب والجهد المتواصل حتى

انتهوا من حفر الخندق فى أيام معدودة ، وقد كان يمكن للنبى ﷺ أن يجلس فى حصن أمين ، فهو القائد الأعلى ، ويصدر الأوامر ويوفر على نفسه المشقة والجهد ، لكنه النبى ﷺ صاحب الروح العالية والأسوة الحسنة .

كان المسلمون يعملون فى حفر الخندق بجدية ، وانتهوا من حفره قبل أن يصل العدو ، ونجحوا فى تحصين المدينة من سلاح الفرسان الذى يتفوق به العدو ، وكان المسلمون على حذر ويقظة فقد كان الليل عندهم كالنهار .

٣- البلاء بسبب غدر اليهود : كان النبى ﷺ عاهد بنى قريظة ، ولكنهم خانوا العهد وانضموا إلى جيش العدو واتفقوا على أن تغير بنو قريظة على المدينة ليلاً وكان فيها النساء والذرارى ، فعظم بذلك البلاء ، وكان النبى ﷺ يخشى ذلك .. وكان يبعث رجالاً إلى المدينة يحرسونها ويظهرون التكبير ..

٤- حصار المسلمين : لما جاء فرسان المشركين مسرعين ورأوا الخندق ، قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، وكانوا يحاولون اقتحام الخندق ..

كان فرسان العدو يجولون بالخيل فى دوريات منتظمة مستمرة حتى الصباح ، لإرهاب المسلمين ، وقد حاول فريق منهم ردم جزء من مكان ضيق بالخندق ليعبروه إلى المسلمين وليأخذوهم على غرة

ولكى ينقلوا المعركة إلى معسكر المسلمين ، ولكن المسلمين كانوا على يقظة وحذر وظلوا واقفين هذا اليوم فى مواقفهم ثابتين ، ولم يتمكن النبى ﷺ ولا أصحابه أن يصلوا ذلك اليوم من شدة الحصار . . حتى دعا النبى ﷺ بلالاً فأقام الصلاة . . . وصلى بأصحابه الصلوات قضاء .

وكان المشركون يعاودون هذه الكرة بالتناوب بينهم . . إلا أن المسلمين كانوا يقفون لهم . . ولم يكتف المسلمون بالجهاد الدفاعى، بل كانوا يرمون المشركين بالنبال ، مع بعد المسافة بينهم وبين المشركين لوجود الخندق .

وكان من شدة حصار العدو وطوله . . وقلة جيش المسلمين بالنسبة لقوة العدو ، وما مرّ بالمسلمين من ظروف قاسية من البرد القارص والجوع ، وقلة الملابس الواقية من البرد والريح الهائجة . . والمنافقون يتسللون . . كل ذلك كان يوحى بالانهيار . . لولا أن المسلمين كانوا مسلحين بسلاح الإيمان والثبات . .

٥ - قريظة تغير على الذرارى : أعطت قيادة الأحزاب الإشارة ليهود بنى قريظة أن يشغلوا المسلمين بالإغارة على نساء المسلمين وذراريهم ، وأن يكونوا على استعداد للهجوم على مواقع المسلمين من وراء الخندق – من خلف المسلمين – فقام اليهود بعدة محاولات فى ذلك ، الأمر الذى كان يزيد من البلاء على المسلمين .

ومن العجائب في هذه الإغارات ، أن صفية بنت عبد المطلب برزت ليهودي وقتلته وقطعت رأسه ورمتها على حصن اليهود ، فراعهم ذلك وانسحبوا مذعورين وهم يظنون أن هناك حرساً من الجيش الإسلامي يحمي النساء ! .

٦-زيادة البلاء من المنافقين : ومن العوامل التي زادت البلاء على المسلمين ظهور النفاق في الصف المسلم ، والقرآن العظيم يصف ذلك ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** ﴾ الأحزاب : ١٠ .

هنالك ظهر النفاق حتى قال أحدهم : كان محمداًيعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ، وفي رواية : وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه .

والمعروف أن الشدائد والمحن تظهر النفاق ، لأن المنافقين ليس عندهم غاية عند الله ولا أمل في الآخرة ...فكيف يثبتون ؟

ويقول تعالى : ﴿ **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** ﴾ الأحزاب : ١١ ، لما نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً .. حينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض ﴿ **مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ ومنهم من قال : ﴿ **لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا** ﴾ أي لا مقام لكم في المرابطة

والثبات ، بل ارجعوا إلى منازلكم ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ ليس هناك من يحجبها عن العدو ، والحقيقة أنها ليست بعورة ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ كما يزعمون ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ هربا من الزحف .

٧ـ حذيفة يصف شدة الكرب : من الصحابة الذين ثبتوا فى هذه الليالى ، حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقد روى أنه كان يصف هذه الأيام لجلسائه فقالوا : أما والله لوكنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود . . أبو سفيان ومن معه فوقنا ، وقريظة أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط ، أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها ، فى أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهى ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبى ﷺ واستقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى أتى وما علىّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى . . قال : فأتانى وأنا جاث على ركبتى فقال من هذا ؟ فقلت حذيفة ، فقال حذيفة ! قال : فتقاصرت بالأرض فقلت بلى يا رسول الله ، كراهية أن أقوم ، قال : قم ، فقمت ، فقال : إنه كائن فى القوم خبر فأتنى به ، قال وأنا من أشد الناس فزعاً . . فلما دخل حذيفة عسكرهم سمع من يقول : الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم ، إذ الريح فى عسكرهم ما تجاوزه شبراً

فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم .

وفى رواية : فذكر حذيفة الخندق حيث قال النبى ﷺ من ينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وشرط له الجنة ، وقال : أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة . قال حذيفة : فما قام رجل منا من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد فلما لم يقم أحد دعانى ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى . .

العوامل التى ساعدت على الثبات :

كانت هناك شدائد ومحن كما رأينا ، وهذه تكفى لانهيار الجيش بمقياس الظروف العادية ، لكن الإيمان كان من أكبر عوامل الثبات فى هذه المحنة وهناك عوامل أخرى ساعدت على الثبات ، منها :

١ـ مشاركة النبى ﷺ فى الأعمال مع المسلمين :

فقد كان ﷺ يحفر الخندق وينقل التراب . . ويخفف عنهم بالأناشيد ويثبتهم ، فيقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وروى أن النبى ﷺ خرج إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : اللهم إن العيش عيش

الآخرة . فاغفر للأنصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً — على الجهاد ما بقينا أبدا

البخارى فى المغازى

٢ـ المبشرات :

١ـ فقد روى أنه عرضت كدية شديدة أى صخرة صلبة ، فجاءوا إلى النبىﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر من الجوع ، فأخذ المعول فضرب الكدية ، فعاد كثيباً أهيل أو أهيم .

٢ـ وصنع جابر بن عبد الله طعاماً لرسول الله ﷺ ونفر معه خاصة وإذا برسول الله ﷺ يدعو الجيش بأكمله ، فيكفيهم هذا الطعام ويبقى منه ببركة النبى ﷺ ! البخارى فى المغازى

٣ـ روى أن النبى ﷺ لما جاءه خبر غدر بنى قريظة وخيانتهم بانضمامهم إلى جيش العدو ، قال : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

٤ـ أن الله تعالى أرسل على جيش العدو ريحاً وجنوداً من عنده ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ الأحزاب : ٩ ، وهم الملائكة ، زلزلتهم وألقت فى قلوبهم الرعب ، فكان رئيس كل قبيلة يجمع قومه ويقول : النجاء النجاء . . ولم يقر لهم قرار ورجعوا خائبين .

وفى حديث : « نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور »

البخارى : الاستسقاء : ١٠٣٥ ومسلم : الاستسقاء : ٩٠٠ والصبا : ريح تهب من مطلع الشمس ، والدبور : ريح تقابل الصبا .

٣ـ الدعاء فى المحنة :

الدعاء مطلوب فى الأزمات والمحن والشدائد ، وهو من أقوى أسباب الثبات والنصر .

وفى الحديث : دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اللهم اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » ، وفى رواية مسلم « اللهم منزل الكتاب مجرى السحاب هازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى أن المسلمين قالوا للنبى ﷺ يوم الأحزاب ، يا رسول الله ، هل من شئ نقول : فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال النبى ﷺ : « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال فضرب الله عز وجل وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله عز وجل بالريح .

أحمد : ٣/٣ : ١٠٩٣٨ صحيح وابن كثير ورواه ابن حبان والطبرانى فى الكبير والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

* * *

الفصل الثانى
الثبات فى طريق الجهاد

الجهاد سنة ثابتة ماضية :

سبق الحديث عن ثبات الصراع بين الحق والباطل على مر الزمن منذ خلق الله آدم وإلى أن يشاء الله . . فالجهاد سنة ماضية إلى يوم القيامة وهو من أصل الإيمان . .

ففى الحديث " ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله ، ولا تكفره بذنب ولا تخرجه عن الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، ولا إيمان بالأقدار "

أبو داوود : الجهاد : ٢٥٣٢ واللفظ له والبخارى باب ٤٤ .

الجهاد قمة الأعمال :

إن أعلى ما فى الإسلام وأرفعه هو الجهاد فى سبيل الله عز وجل . . ففى الحديث عن معاذ بن جبل قال :" قلت يا ر سول الله ، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار " وفيه " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، قلت بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد " الحديث عن الإمام الترمذى :٢٦١٦

وفى رواية الإمام أحمد بزيادة " ... والذى نفسى بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم فى عمل تبتغي فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد فى سبيل الله ولأثقل ميزان عبد كدابة تنفق فى سبيل الله أو يحمل عليها فى سبيل الله "

أحمد : ٥ / ٢٤٦ : ٢٢٠٢١ حسن ، من حديث طويل .

أساس الثبات على الجهاد :

أساس الثبات كما تقدم ، هو الإيمان بالله تعالى ، ومن الإيمان أن تؤمن بأن ﴿ **متاع الدنيا قليل** ﴾ وأن الجهاد فى سبيل الله لا يقصر عمرا ولايؤخر أجلا ، وأن الإنسان له أجل مقدر مكتوب ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً** ﴾ آل عمران : ١٤٥ وأنه ﴿ **لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾ التوبة : ٥١ .

« وإن الأمة التى تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة ، يهب لها الله الحياة العزيزة والنعيم الخالد ، وما الوهن الذى أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت ، فالإنسان العاقل يعد نفسه للدرجات العالية والحرص على الموت فى سبيل الله عز وجل . . » . من رسائل الإمام البنا .

الدعاء بالصبر والثبات عند اللقاء :

قال تعالى ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة : ٢٥٠ .

إن المسلمين المجاهدين عند لقاء العدو ، فى حاجة إلى أن يغمرهم الله بالصبر ويفرغه عليهم ، ويسكب عليهم السكينة ويثبت أقدامهم فلا تتزحزح .. وبهذا يأتى النصر لهم والهزيمة لأعدائهم ﴿ **فهزموهم بإذن الله** ﴾ .

وكان النبى ﷺ يدعو الله عند اللقاء فى الغزوات ..كما سبق أن رأينا .

الأمر بالثبات عند اللقاء :

يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ الأنفال : ٤٥ .

والمعنى : إذا التقيتم بالكفار فى ميدان القتال فيجب الثبات فى قتالهم وعدم التولى والفرار ، مادام أن النصر والهزيمة بيد الله وما على المؤمنين إلا بذل الجهد والطاقة والبلاء فيه ، أما النتيجة فهى مقدورة مكتوبة ، ما دام المؤمن لا يبغى إلا الشهادة وهى من أعظم الدرجات و النصر والفوز بالثواب والغنيمة ، فالثبات فضيلة والفرار كبيرة ، وعلى المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا ويدعوا بالنصر والظفر .

وفى الحديث : أن النبى ﷺ قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ... » جزء من حديث البخارى : ٢٩٦٦ ومسلم : ١٧٤٢ .

وفى رواية : فإذا لقيتموه فاثبتوا ، فإن أجلبوا وضجوا فعليكم

بالصمت » . الدارمى : السير : ٢٤٤٠

وعن سعيد بن منصور : لا تمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم » ، وقيل فى هذا المعنى : لا تدعو إلى المبارزة . فإذا دعيت فأجب، لأن الداعى باغى .

والحديث يحث على الصبر فى القتال ، والمعنى : فاصبروا أى اثبتوا ولا تظهروا التألم من شئ يحصل لكم ، فالصبر فى القتال هو كظم ما يؤلم من غير إظهار شكوى ولا جزع ، وهو الصبر الجميل.

عون المعبود : ٧/ ٢٩٥

خطر التولى يوم الزحف :

التولى يوم الزحف من الكبائر ، والفرار من الميدان ليس من صفات المؤمن الصادق الصابر الثابت .

ففى الحديث : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات ... » .

البخارى : الوصايا : : ٢٧٦٦ ومسلم : الإيمان : ٨٩ وغيرهما ، والموبقات : المهلكات

فيجب على المجاهدين إذا لقوا الكفار زاحفين أن لا يولوهم الأدبار وألايفروا منهم ، ومن يفعل ذلك ويجبن عن قتالهم فقد فعل كبيرة وارتكب معصية خطيرة ، وعليه غضب من الله ومأواه

جهنم . . أعاذنا الله منها .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الأنفال : ١٥ / ١٦ .

فالمطلوب الثبات وعدم الفرار . . إلا لمكيدة حربية بالانتقال من مكان إلى مكان أصلح فى حرب العدو أو إيهام العدو بأنه يفر حتى يستدرجه بعيدا عن صحبه ثم يكر عليه فيقتله ، أو الانتقال إلى جماعة أخرى فى حاجة إليه ، أو إلى موقع أفضل أو خطة أحكم . . لمعاودة القتال .

« إن قلب المؤمن ينبغى أن يكون راسخا ثابتا لا تهزمه فى الأرض قوة وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره القاهر فوق عباده . . وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة ، وهو يواجه الخطر ، فإن هذه الهزة لا يجوز أن تصل إلى هزيمة وفرار ، والآجال بيد الله ، فما يجوز أن يولى المؤمن خوفاً على الحياة . . . ظلال القرآن : ١٤٨٩ .

البيعة على الثبات حتى الموت :

من يدرس بيعة العقبة الثانية ، ومشاورة الرسول لأصحابه يوم بدر ، ويوم أحد . . وبيعة الرضوان . . يلمس روح الثبات والتصميم

والتضحية فى سبيل الله .. حتى الموت .

قال تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ الفتح : ١٨ .

وكان ذلك يوم الحديبية وقد بايعوا النبى ﷺ على الموت كما جاء فى حديث البخارى وفى رواية نافع « بايعهم على الصبر » وفى رواية « البيعة فى الحرب أن لا يفروا » أى بايعهم على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بذلك إلى الموت أم لا . . . ولا تنافى بين قولهم بايعوه على الموت وعلى عدم الفرار ، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا ..

وكانت الأنصار يوم الخندق تقول :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا

فهذه البيعة لم تكن على التأقيت بل على الثبات مدى الحياة .. ما حيينا أبدا ..

الفرح بالشهادة فى سبيل الله :

إن المؤمن له غاية واحدة ، هى : الله .. فهو يوطن نفسه على الثبات حتى يلقاه .. والمؤمن يفرح بالشهادة ، لأنه يعتقد أنه إذا لقى الله شهيدا فقد فاز .. ولأنه سينتقل إلى دار أفضل .. هى دار الجزاء والسعادة ..

ومن هنا كان فرح المؤمن إذا وافته المنية فى ميدان القتال .

قال ابن اسحاق وهو يحكى سرية بئر معونة والغدر والخيانة فى قتل رجلين من أصحاب النبى ﷺ منهم حرام بن ملحان ، وكان فيمن حضرها من المشركين ، جبار بن سلمى الذى أسلم بعدها ، وقال : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت ورب الكعبة ! فقلت فى نفسى : ما فاز ، ألست قد قتلت الرجل ! . . قال : سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، فقلت : فاز لعمر الله » . البخارى : ٢٩٥٩ .

كان حرام بن ملحان حين تلقى الرمح فاخترق صدره . . وسال الدم . . كان يأخذ بيده الدم ويمسح به وجهه ورأسه ويقول : فزت ورب الكعبة . البخارى : المغازى : ٤٠٩٢ .

هذا الثبات وعدم الفزع والفرح بالشهادة . . كان سببا فى إسلام الكثير من المعاندين المحاربين للإسلام . .

إن نشر الدعوة قد يكون بالثبات عند اللقاء والفرح بالشهادة . .

فضل الرباط والثبات فى سبيل الله :

إن المؤمن دائما يصحب نية الجهاد ويكون على استعداد للرباط والثبات لا يبتغى إلا الشهادة فى سبيل الله ، فإذا مات مرابطا ثابتا فإن أجر عمله يستمر حتى يبعث يوم القيامة .

ففى الحديث " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل

الشهداء وإن مات على فراشه " . مسلم : الإمارة : ١٩٠٩ وأبو داود : الاستغفار : ١٥٢٠ وابن ماجه : الجهاد : ٢٧٩٧ وغيرهم .

وفى الحديث : « كل ميت يختم له عمله ، إلا المرابط فى سبيل ، إنه يجزى له عمله حتى يبعث » .

الدارمى : السير : ٢٤٢٥ وله شواهد عن أبى داود والترمذى والحاكم ، قال الألبانى فى صحيح الجامع : ٤ / ١٨٢ صحيح .

وفى رواية : « كل ميت يختم له على عمله إلا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر »

أحمد : ٦ / ٢٠ : ٢٣٨٣٤ م صحيح .

وفى الحديث « من خير معاش الناس لهم ، رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه ، أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا فى خير »

مسلم : الإمارة : ١٨٨٩ ومسك عنان فرسه : أى متاهب منتظر وواقف بنفسه على الجهاد ، يطير على متنه : يسرع جدا على ظهره حتى كأنه يطير ، مظانه : أى يطلبه من مواطنه التى يرجى فيها ، لشدة رغبته فى الشهادة ، غنيمة : تصغير غنم ، شعفة : أعلى الجبل .

درس فى الثبات من غزوة أحد :

فى غزوة أحد كان المسلمون أقل من ثلث المشركين ، وكان

جيش العدو يتفوق بالفرسان ، ومع ذلك ركز الرماة من فوق الجبل على حملة لواء المشركين حتى خر صريعا .. فأخذته امرأة ، وأشاد حسان بن ثابت بجهاد الصحابة مع هجاءالمشركين على هزيمتهم..
وفى هذه الغزوة أبلى المسلمون بلاء حسنا ، فأبعدوا المشركين عن نسائهم وأحمالهم وكشفوهم حتى ألحقوا بهم هزيمة لا شك فيها ، وسجل القرآن العظيم هذا النصر لصالح المسلمين ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** ﴾ آل عمران : ١٥٢ .
وكان النبى ﷺ وعدهم النصر بشرط أن يصبروا ويثبتوا « انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم ». ابن جرير .

الهزيمة بسبب عدم الثبات :

إن النبى ﷺ أمر الرماة أن يثبتوا فوق الجبل لحماية معسكر المسلمين حتى لا يأتى العدو من الخلف ، وأنذرهم وحذرهم أن يتركوا مواقعهم من فوق الجبل :

ففى الحديث « .. لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعيينونا ... » البخارى .

وفى روايات صريحة يحذرهم : « انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا » .. « حتى أرسل إليكم » « احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا » .

لكن الرماة حين وجدوا المسلمين انتصروا وأخذوا فى جمع الغنائم اختلفوا ، فرأى أكثر هم أن المعركة انتهت ، ورأوا النزول لجمع الغنائم ، أما قائد الرماة عبد الله بن جبير ومن معه فقد رأوا الثبات على الجبل وقال لأصحاب الرأى الأول : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ، قالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة .

فتح البارى : ٧ / ٤٠٤ وما بعدها بتصرف .

فلما رأى المشركون أنه لم يبق على الجبل إلا القليل ، أغاروا عليهم .. وأتوا على المسلمين من خلفهم فارتبك المسلمون والتبس الأمر عليهم وصاريضرب بعضهم بعضاً وما يشعرون بما يصنعون من العجلة والدهش ، وفى أثناء ذلك أشيع بأن النبى ﷺ قتل ، فتحير الناس واضطربوا .. وتفرق الصحابة فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل وثبت رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله ، فرماه ابن قمئة بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله .. فجعل الدم يسيل على وجهه .

وكانت كتائب المشركين تقبل وتدبر ، وتلتقى وتفترق ، ما يرون أحد يردهم ..

انقسام جيش المسلمين :

انقسم جيش المسلمين بعد الهزيمة إلى طوائف ، لكن ثبات الرسول ﷺ ومن معه قلب الهزيمة واستطاع أن يجمع المسلمين

ثانية أمام المشركين حتى انسحبوا وكان انقسام الجيش كالآتي :

١- طائفة المنافقين . . وقد انكشفوا وفيهم نزلت ﴿ **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا** ﴾ آل عمران : ١٥٤ .

هذه الطائفة . . لم يغشها النعاس من القلق والجزع والفزع ، يظنون بالله غير الحق ، ظنوا أن هذه المعركة هى الفيصلة ، وأن الإسلام قد باد وأهله . . وهذا شأن أهل الريب والشك والظنون الشنيعة . . إذا حدث للمسلمين أمر خطير !

٢- طائفة انسحبت لتدبر أمرها لاجتماع الكلمة ، وهى معظم الجيش ، ولما علمت بحياة النبى ﷺ انضموا إليه تحت قيادته ، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وغيرهما .

٣- طائفة لم تنسحب ورأت وجوب الصبر والثبات فى قتال العدو حتى الموت ، وهؤلاء منهم أنس بن النضر وأصحابه وفيهم نزلت ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ الأحزاب : ٢٣ .

البخارى : تفسير الأحزاب : ٤٧٨٣ ومسلم فى الإمارة : ١٩٠٣

٤- طائفة كانت قريبة من النبى ﷺ وهم الذين صبروا وثبتوا معه ودافعوا عنه فى الساعات الحرجة .

ثبات النبى ﷺ وجمع المسلمين :

لما أشيع بين المسلمين عن مقتل النبى ﷺ ، اضطرب الجيش وفر منهم من فر وثبت من ثبت . . لكن النبى ﷺ كان ثابتا وقاتل المشركين هو ومن ثبت معه ، بل نادى على المنسحبين يقول إلى عباد الله ، إلى عباد الله . ونزل قوله تعالى : ﴿ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ آل عمران : ١٥٣ .

ولولا ثبات النبى ﷺ وصبره وجمع الجيش وعودة القتال بضراوة . . لكانت الهزيمة المنكرة فى صفوف المسلمين . . ولكن الله سلم والحمد لله .

ثبات أنس بن النضر وأصحابه :

ومن الذين ثبتوا يوم أحد حتى الموت ، أنس بن النضر وأصحابه رضى الله عنهم حيث إنه لما انهزم الناس لم ينهزم أنس رضى الله عنه، وقد انتهى إلى رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم ! فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله ﷺ ، فقال ما تصنعون بالحياة بعده ؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول

الله ﷺ ثم استقبل المشركين ولقى سعد بن معاذ فقال : يا سعد ، واها لريح الجنة إنى أجدها من دون أحد ! فقاتل حتى قتل .

وفى الحديث : قال أنس : عمى- هو أنس ابن النضر - الذى سميت باسمه لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرا ، قال فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده الرسول ﷺ غيبت عنه ، وإن أرانى الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرانى الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، قال فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد .. قال : فقاتلهم حتى قتل ، قال : فوجد فى جسده بضع وثمانون ، من بين ضربة وطعنة ورمية ، قال : فقالت أخته ، عمتى الربيع بنت النضر ، فما عرفت أخى إلا ببنانه ، ونزلت هذه الآية ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ الأحزاب : ٢٣ فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه . البخارى : المغازى : ٤٠٤٨ ومسلم : إمارة : ١٩٠٣ واللفظ له ومعنى : فهاب أن يقول غيرها : أى أنه اقتصر على هذه اللفظة .. مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز أو يضعف عنه .

درس من ثبات الشعب الفلسطينى المجاهد :

لا شك أن الشعوب الإسلامية تتعرض للمحن المتتالية ، والمجاهدون يعانون المؤمرات والعدوان والطغيان والاضطهاد .. هذا فى فلسطين وكشمير والبلقان والشيشان وغيرهم .. والعالم يتفرج

.. والنظام العالمى لا ينصف لهم قضية، بل الانحياز الكامل للمعتدى !!

ولا يتسع المجال هنا لهذه الأوجاع والقضايا .. إنما نذكر بالقضية الساخنة الممتدة لأكثر من نصف قرن من الظلم والعدوان على شعب أعزل .. هو الشعب الفلسطينى الصابر الثابت على الحق المنتصر بإذن الله القوى القاهر فوق عباده .

وإسرائيل قامت على رفات الشعب الفلسطينى .. بالمكر والخداع والمؤامرات والمذابح والهجرة ومصادرة الأراضى وهدم البيوت .. وإبادة مرحلية للشعب الفلسطيني ، وإقامة المستوطنات .

وليست مذابح صابرا وشاتيلا .. ورام الله وجنين .. ببعيد .

وإسرائيل تهدف السيادة من النيل إلى الفرات ، والتوسع العدوانى، وتصرح بإذلال العرب وتتحدى الجميع .. تريد أن تجعل فلسطين مجرد بلدية تحت رحمتها وتجعلها عبرة للعرب .. وهى تقتل الأطفال والنساء وكبار السن ..

وإسرائيل لا تلتزم بمعاهدات ، وشارون اعترض على اتفاقية السلام مع مصر ، وباراك قال : إن السلام مع مصر مجرد هدنة مؤقتة .. فأين السلام المزعوم ؟!

والسلطة الفلسطينية تجامل أمريكا والغرب .. تنزع السلاح من المجاهدين وتعتقلهم .. ولو قاوم الشعب ، ستدخل فلسطين فى

حرب أهلية المستفيد منها العدو فقط ، لذا يتحمل المجاهدون السجون والتعذيب . . وقرارات الأمم المتحدة لا قيمة لها إذا صدرت لصالح العرب والمسلمين . وأمريكا تكيل بمكيالين ، تيمور الشرقية تحصل على الاستقلال في ساعات . . وشعب فلسطين يهمل لأكثر من نصف قرن ؟! .

والمفاوضات تعني التنازلات . . وهي قائمة على أسلوب المراوغة وكسب الوقت والتوسع الصهيوني . . ومن أهداف الاتفاقات الأمنية . . تدريب قوات الأمن الفلسطيني على " مكافحة الإرهاب " أى مكافحة المقاومة الفلسطينية !!

أما دور أمريكا فهى شريكة فى الاعتداء على فلسطين ، لأنها أعطت الضوء الأخضر لإسرائيل ، وأعطتها الأسلحة الحديثة . . ومنها طائرات إف ١٦ تضرب بها الشعب الأعزل ! وتصف السفاح شارون بالحب ، وتصف الذين يدافعون عن المسجد الأقصى وعن الأرض والأهل . . بالإرهاب . تستخدم الفيتو ضد حماية الشعب الفلسطيني . .وضد أى قرار يمس إسرائيل حتى يتم تصفية الشعب الفلسطيني وتتوسع إسرائيل . . ولا تزال السلطة ترى أن أمريكا لها الدور الأساسى فى عملية السلام ! وأنها راعية السلام !!

إن إسرائيل تزعم السلام لتقنين الاحتلال . . والإسلام هو أحرص الأنظمة على نشر السلام . . والواقع التاريخي يثبت ذلك . .

والإسلام يحقق السلام العادل الذى ينصف المظلوم ويرد العدوان وليس الاستسلام الذى يريده العدو .

أما المقاومة ، فالشعب الفلسطينى صامد رغم الطائرات والدبابات .. حتى ترى الفلسطينى ثابت لا يحمل إلا الحجر أمام جيش مدجج بالسلاح الحديث ! ومع ذلك ترى الجندى الإسرائيلى يهرب من الحجر ! اليهود لا يفهمون إلا لغة القوة ..

الشعب الفلسطينى يقدم التضحيات كل يوم ، المقاومة أحدثت صحوة فى العالم وكشفت عن العدوان وعن هموم الشعب .. وأصبح المنصفون فى العالم يتعاطفون معه ، والشعوب العربية تعبر عن تضامنها بالمسيرات والتظاهرات وتؤكد استعدادها للجهاد وتحرير القدس ، لقد استطاعت المقاومة توحيد جميع فصائل الشعب الفلسطينى .

المقاومة ليس لها إلا الله وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ..

المقاومة تحتاج دعم سياسى واقتصادى ومادى ومعنوى .. والإعلام له دور كبير فى إيقاظ الشعوب وبعث الوحدة وتدعيم المقاومة ، ومن هنا فإن إسرائيل تعادى الصحفيين لأنهم ينشرون العدوان المتكرر على شعب لم يرض بالظلم .

إسرائيل ليست بالقوة التى لا تقهر ، فقد رأى العالم كيف هرب الجيش الإسرائيلى أمام المقاومة اللبنانية الباسلة

يا مسلمون ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١٦ .

يا مسلمون : فلسطين جزء من الوطن العربى والإسلامى ، فلسطين هى خط الدفاع الأول ، إذا ضاعت فماذا بعدها ؟

ضياع فلسطين إذلال لكل الأمة العربية والإسلامية ، وتحريرها عزة لهم ، أين روح الجهاد ؟ أين سلاح المقاطعة ؟ أين غضبة العالم ضد إسرائيل الظالمة المعتدية .. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ الأسراء : ٥١ .

إعداد وتجميع من مجلة « القدس » وجريدة الأهرام وغيرها .

يا مسلمون : الجهاد ماض إلى يوم القيامة والصراع بين الحق والباطل إلى أن يشاء الله .

يا مسلمون : هذه فلسطين ، وهذا شعبها الأبى الصامد الصابر الثابت المجاهد رغم المحن والشدائد والمؤمرات والخيانات .. شعب أعزل يقف أمام دولة تملك أحدث الأسلحة والمعدات والطائرات ..

ونحن ندعوا لهم وللمسلمين :

اللهم وحد صفوف المسلمين واجمعهم تحت رايتك ، وابعث فيهم من يقودهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

اللهم وعدك الذى وعدت به عبادك المؤمنين ، اللهم واستخلفهم فى الأرض ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضيت لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوك لا يشركون بك شيئا .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر المجاهدين ، واربط على قلوبهم ، وأنزل السكينة عليهم وثبت أقدامهم وسدد رميهم وارزقهم من حيث لم يحتسبوا وارحم شهدائهم واحشرنا معهم فى عليين .

اللهم عليك بالظالمين المعتدين المغتصبين لأرض المسلمين ، وعليك بمن أيدهم ووالاهم . اللهم ائتهم من حيث لم يحتسبوا واقذف فى قلوبهم الرعب ، وفرق جمعهم وشتت شملهم واجعل دائرة السوء عليهم واجعل كيدهم فى تضليل . .

اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم . . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الموضوع	** الفهرس **	الصفحة

الموضوع	** تابع الفهرس **	الصفحة

الموضوع	** تابع الفهرس **	الصفحة

* * *

كتب للمؤلف

١- مختصر مدارج السالكين .	دار الدعـــوة
٢- منهج القرآن في التثبت من الأخبار .	دار الدعـــوة
٣- البذل والتضحية في سبيل الله .	دار الدعـــوة
٤- الشفاعة .	دار الدعـــوة
٥- الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار ابن لقمان
٦- غض البصر .	دار المـــدائـــن
٧- الاستئذان .	دار المـــدائـــن
٨- بر الوالدين والأقارب جـ ١ .	دار المـــدائـــن
٩- بر الوالدين والأقارب جـ ٢ .	دار المـــدائـــن
١٠- مختصر الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار المـــدائـــن
١١- الاختلاط بين الطلبة والطالبات .	دار المـــدائـــن
١٢ الصبر والثبات علي الطريق .	دار المـــدائـــن

★ ★ ★

رقم الإيداع
٢٠٠٢/١٤٢٠٥